استدعي إلى مهام أخرى

مجموعة قصصية

استدعـي
إلى مهام أخرى

بقلم بوفاتح سبقاق

Hibr
الحبر

عنوان الكتاب : **استدعي إلى مهام أخرى**

المؤلف : **بوفاتح سبقاق**

© حقوق النشر محفوظة لحبر للنشر ـ الجزائر ـ 2017.

ردمك: 978-9931-514-64-0

الإيداع القانوني: السداسي الثاني، 2017.

إهـــداء

إلى الوالدة الكريمة عرفانا وتقديرا
إلى إطارات ورجال الدولة النزهاء.

تقـديم

تفاجئنـا المـدن الداخليـة بكتـب وكتـاب في لغـتهم بهجـة الإكتشـاف والدهشـة، الأديـب بوفـاتح سـبقاق بهـدوء بعيـدا عـن ضـجيج العاصـمة يكتـب و يعتقـد فيمـا يكتـب، يـؤمن بـأن الأدب والكتابـة هـي الرئـة الثالثـة الـتي منحهـا اللّه لفئـة مـن عبـاده، أي الكتاب والمبدعين.

كتابـة تتميـز بالسـخرية الإجتماعيـة والسياسـية اللاذعـة، علـى المستوى الإجتماعي تخرج الأديب بوفاتح سبقاق من مدرسة اليومي، فهـو مشـغول و منشـغل بـاليومي وتسـتهويه المباشـرة السياسـية والإجتماعية كعامل في تحديد هوية الأدب مضمونا وجمالا، ففي اليومي المباشر ما قد يتجاوز المتخيل والفانتازيا.

إن الكاتب بوفاتح سبقاق هو بحق يوسف إدريس الجزائر.

الدكتور أمين الزاوي

متطلبات المرحلة

وأخيرا تحقق حلمه الكبير ونظرا لنضاله السياسي ودعمه الدائم لفخامته، فقد وصله خبر عاجل من مصدر موثوق مفاده أنه تم إقتراحه كسفير فوق العادة في بلد أوربي مهم للغاية .

أنهى المكالمة مع صاحب الأنباء السعيدة، وضع هاتفه النقال جانبا وتأمله من جديد، هاتف بسيط جدا لا يليق بمكانة سفير هام مثله هذه السيارة التي فقدت هيبتها في عالم السيارات لن تكون في مستوى الحدث.

دخل البيت إستقبلته زوجته بكل نكد كعادتها بلباس المطبخ وروائحه لديها قدرة رهيبة على إختراع المشاكل والأخبار المزعجة جلس في الصالون يتظاهر بسماعها وهو في الحقيقة ينظر إليها وكأنه إكتشفها من جديد، يراها ملكة تعاسة العالم وصوتها مثل الأصوات التي تصدر عن ورشات البناء، فعلا وجودها يتعارض مع متطلبات المرحلة، لا يمكنه أن يتصورها معه في حفلات السفراء أو مراسيم الإستقبال لدى الرؤساء، آن الأوان لنقلة نوعية في حياته فهو بحاجة إلى إمرأة جميلة عليها علامات الجمال الدبلوماسي .

لابد من إحداث ثورة في حياته تحسبا للعهد المشرق القادم.

العوالم الجديدة تتطلب تغيير طريقة التفكير وإحداث لمسات نوعية في مختلف نواحي يومياته، عليه أن يجعل روحه ذات طابع دبلوماسي وواقعه يجب أن يكون تكريس لخريطة الطريق الجديدة .

وفيما كان منشغلا بهواجسه وأحلامه الوردية، رن هاتفه المتهالك فجأة ....

المصدر الموثوق يكلمه للمرة الثانية، تغيرت ملامح وجهه وفقد بريق فرحه وسعادته الكبيرة، نظر لزوجته من جديد رآها أجمل إمرأة في الكون، فقد اخبره رفيقه في النضال أن الرئيس لم يوافق على تعيينه كسفير فوق العادة .

عاد إلى واقعه بكل أسى، أدرك بأن الأحلام الجميلة نادرة التحقيق وعليه أن يواصل حياته برتابة في انتظار معجزة ما في المستقبل.

منعرج تاريخي

وأخيرا إستطاع الصحفي المبتدئ أن يحجز له مقعدا قرب المنصة حتى يتسنى له تسجيل كل شاردة وواردة، وخاصة أن رئيس التحرير شرفه بتغطية حدث مهم حسب ما فهمه، القاعة مكتظة والكل ينتظر رئيس الحزب الذي شغل البلاد والعباد.

وأخيرا دخل الرجل محاطا بتغطية أمنية مبالغ فيها، كل الأنظار منصبة نحوه بإعتباره شخصية سياسية هامة مقربة من دوائر القرار ارتشف كوب ماء ودخل مباشرة في الموضوع بكل حماس.

- إنه منعرج تاريخي كبير ونحن مستهدفون من قوى أجنبية وهذا بتواطئ أيادي داخلية عميلة لا تريد الإستقرار لهذا البلد.

لحد الساعة لم يسجل صاحبنا في مفكرته شيئا وهذا بإعتبار ما قيل مجرد لغة خشب متداولة منذ سنوات.

تناول زعيم الحزب كوب ثاني من الماء وتراجع إلى الخلف قليلا ثم ضرب بيديه على الطاولة بكل قوة....

- مصلحة الوطن خط أحمر ونرفض التدخل الأجنبي في أمورنا الداخلية، وأقول لكل من تسول له نفس المساس بوحدتنا الترابية أننا مستعدون لبذل الغالي والنفيس لحماية بلادنا.

في هذه الأثناء أخشاب كثيرة تناثرت في المكان ولحد الساعة لم يستوعب رجال الصحافة كل ما قاله هذا الممثل السياسي البارع وكلهم كانوا ينتظرون فتح باب النقاش لكي يطرحوا أسئلة جدية قد تبعد شيء من الخشب الكثير الذي غطى المكان.

وقبل إتاحة الفرصة أمام رجال السلطة الرابعة، أصر رجل السلطة الحقيقية أن يرمي بأخشابه الأخيرة....

- نحن نؤمن بالتداول السلمي على السلطة ولكننا نرفض بشدة تطبيق أي أجندة خارجية في بلادنا، ويجب على الشعب أن يحمد الله كثيرا على نعمة الإستقرار، العالم كله يحسدنا على خيراتنا وحنكتنا السياسية.

وبمجرد ما فتح المجال أمام الصحفيين وقبل حتى طرح السؤال الأول إنقطع التيار الكهربائي وأصبح الظلام سيد المكان أسرع رجال الحماية الخاصة نحو زعيم الخشب وأخرجوه بسرعة رهيبة.

ثم سمع صوت صادر من الظلام يتكلم عن توقيف الندوة الصحفية وتأجيلها إلى وقت لاحق.

خرج صاحبنا مثل غيره من الصحفيين من القاعة وهو مقتنع جدا بأن البلد بخير كما قال رئيس الحزب والإنقطاعات الكهربائية ظاهرة صحية تحدث في الكثير من دول العالم .

محلل سياسي

- لحد الساعة لا أدري ماذا أضفت إلى حياتك من متابعتك المستمرة لنشرات الأخبار التي تشاهدها منذ سنوات ؟

هذا ما سمعه من زوجته وهي تحاول إقناعه بتغيير القناة لكي تتمكن من مشاهدة مسلسلها المفضل.

لم يقدم لها أي إجابة وتركها تتابع عوالمها النسائية وغادر المكان أول مرة يرضخ لها بدون مقاومة فقد سطعت في ذهنه فكرتان الأولى تتعلق بالسنوات الطويلة التي كان يجلس فيها أمام التلفاز بكل إهتمام ليتابع تطورات الأحداث هنا وهناك، والفكرة الثانية تتعلق بتحديد طبيعة المنافع التي تحصل عليها.

جلس في مقهى الحي مع صديقه الصحفي المميز وإستعرض معه وضعه الشخصي وطموحاته الجديدة.

- تفضل لما طلبتني في هذا الوقت ؟ وما هو الأمر المستعجل ؟

- بدون مقدمات أريد أن أكون محللا سياسيا يظهر على الفضائيات ويقدم وجهات نظره وأفكاره وآراءه حول كل ما يقع هنا أو هناك.

تأمله الصحفي بكل ذهول مبتسما، إرتشف كوب الشاي وإقترب منه قليلا قائلا :

- فعلا من خلال نقاشاتنا السياسية هنا، أظن انك تمتلك قدرات رهيبة في شرح الأوضاع السياسية والأزمات الخطيرة وخاصة فيما يتعلق بالربيع العربي، بدون مجاملة ستكون فعلا تحفة سياسية على القنوات الفضائية.

- يبدو أنك تمتلك وصفة سحرية لتحقيقي حلمي الكبير.

نشرات الأخبار أضحت مجرد أطباق دموية، قتلى وجرحى وإنفجارات وإحتجاجات وغيرها من الأخبار المدمرة وهكذا أحيانا تتاح الفرصة لبعض الوجوه لتحليل الوضع بكل إهتمام، البعض يموتون والبعض الآخر يهتم بتكوين الجمل الرنانة ويقدمون الأفكار الخلاقة للأوضاع الأكثر مأساوية.

واصل الصحفي المميز أفكاره الجهنمية وهو يعتبر حلم صديقه فرصة للتأكد فعلا من رداءة المشهد الإعلامي.

- و لكن كيف يمكنك أن تحقق لي ما أريده ؟

نظر الصحفي إليه بكل إهتمام وهو يدرك ان الحلم المطلوب هو واقع الكثير من المحللين الذين سكنوا كل الفضائيات وأصبح وجودهم مرادف للدمار والخراب.

- لدي معارف في أغلب القنوات الفضائية سوف أتصل بهم جميعا وأعطيهم كل المعلومات عنك وأخبرهم أنك محلل سياسي متمرس يعرف خبايا العلاقات الدولية ويفهم جيدا دهاليز السياسة العالميةشكرا صديقي الفاضل .

- أنا سعيد جدا لأنك سوف تساهم في تحقيق حلمي الرائع .

- لا تتوقف عن متابعة نشرات الأخبار حتى يكون لديك أكبر قدر من المعلومات، ودائما حين تعبر عن آراءك عبر هذه القنوات عليك أن تتفادى أن تذكر مصدر معلوماتك، تكلم دائما وكأنك صديق مقرب للمصدر المأذون وصديق حميم للمصدر الذي لا يرق إليه الشك.

بعد أيام من اللقاء التاريخي الكبير، وفيما كان صاحبنا يسقي الورود في شرفة منزله وصلته مكالمة دولية من منسق الأخبار لقناة فضائية إخبارية مشهورة حيث طلب منه الإستعداد

للمشاركة بمداخلة في نشرة الأخبار .. وأخبره أن الأسئلة سوف تتركز حول تطورات الوضع بليبيا.

فرح كثيرا بأول خرجة إعلامية محتملة له، سيرتدي أبهى حلة ولكنه سرعان ما تذكر أنها مداخلة هاتفية وبإمكانه أن يعبر عن آراه في أي وضعية يريد وبأي لباس، مستلقيا على فراشه أو واقفا .

بمجرد ما جلس منتشيا على أريكته حتى وصلته المكالمة التاريخية الموعودة، في حين كانت زوجته تتابع نشرة الأخبار لأول مرة وكلها سعادة بزوجها الذي سيصبح قريبا شخصية مرموقة.

لابد من لقاء يجمع كل الفرقاء على طاولة حوار من أجل إيجاد مخرج سلمي للأزمة السياسية في ليبيا ويتعين أن يكون للجامعة العربية دورا بارزا بالتنسيق مع هيئة الأمم المتحدة، التدخل الدولي سيؤدي إلى تفاقم الوضع ولابد من تفادي أي ضربات جوية.

أكمل مداخلته بكل سرور وعرف كيف يكسب محاوره بكل سهولة وعاد ليتسمر قرب الشاشة ليسمع أحلى جملة في نشرة الأخبار والتي تتضمن شكر الصحفي له على مشاركته في النقاش المفتوح.

بمرور الأيام أضحى رقم لا يمكن تجاوزه عبر كل الفضائيات العربية وأصبحت لديه قدرات رهيبة تسمح له بتحليل كل الأوضاع السياسة العربية وخاصة أنها تتشابه في كل شيء، حاكم يرفض التنازل عن الكرسي، مسيرات وإحتجاجات، هروب أو قتل أو سحل للزعيم، ثم وصول فصيل لسدة الحكم ومن بعدها ظهور فصائل معارضة ثم تأتي مرحلة المبعوث الأممي وتبدأ جلسات الحوار بكل حلقاتها في جنيف.

الكاذب الرسمي

الزعيم منزعج ومتشائم بخصوص إستمرارية حكمه، إشاعات كثيرة هذه الأيام تمس بمصداقية الدولة وأركانها، لابد من إيجاد حل سريع لكي لا يسقط المعبد على من فيه.

وصل المستشار السياسي بسرعة بناءا على طلب فخامته وهو يفكر في طبيعة هذا الأمر المستعجل، فقد مضت عليه فترة طويلة عاش فيها البطالة السياسية، بلد أضحت المعارضة كرتونية والموالاة مجرد جوق تصفيق ورفع أيادي وأشياء أخرى.

- سيدي أنا رهن إشارتك، أمس أرسلنا برقيات لكل الدول التي تعيش أعيادها الوطنية وأبلغتهم حرص فخامتك على تطوير العلاقات الثنائية وإرساء السلم والتنمية المستدامة وطبعا إستعدادنا لمواجهة الإرهاب بحكم تجربتنا الكبيرة في هذا الميدان .

- دعنا من مهامك الروتينية، قرأت صحف اليوم وبعض المواقع الإخبارية وشاهدت الكثير من القنوات الفضائية، هناك إشاعات مختلفة هذه الأيام كلها تحكي عن صراعات داخلية ومحاولات إنقلابية الأمور تفاقمت لابد من إتخاذ قرارات حاسمة .

- يمكننا أن نوقف بعض الجرائد ونغلق القنوات الفضائية المعارضة .

نهض الزعيم من مكتبه وإقترب من شرفة القصر ثم إستدار لمستشاره السياسي قائلا :

- لا داعي لهذه الأساليب القمعية، حرية التعبير مكفولة دستوريا والمنظمات الدولية سوف تزعجنا إن قمنا بهذا النوع من الإجراءات .

- أقترح سيدي أن يكون لك ناطقا رسميا يعبر عن آراءك وقراراتك وهكذا لا نعطي أي مجال للإشاعات.

- مع أنني أفضل الغموض والتعتيم إلا أن طبيعة المرحلة تتطلب ذالك ولا مفر من واجهة رأي وإن كانت شكلية.

- الناطق الرسمي سيكون مهم جدا في هذه الظروف وهل لديك اسم مقترح لهذا المنصب الجديد سيدي ؟

- ليس لدي شخص بعينه ولكن يجب أن يكون لديه قدرة كبيرة على الكذب والمناورة والمراوغة، بكل بساطة أريده أن يكون كاذب رسمي بأتم معنى الكلمة .

ظهرت إبتسامة ماكرة على وجه المستشار السياسي وإقترب أكثر من فخامة الزعيم ...

- إطمئن سيدي الكذب والمناورة والمراوغة هي صفات متوفرة بكثرة عند كل رجالات الدولة، بل أجزم أننا سنجد صعوبة في إيجاد صادقا واحدا، إنهم سيدي عصارة عهدك الذهبي خبراء في الوعود الكاذبة والأحلام الزائفة ولديهم قدرة كبيرة على الإقناع والتبرير حتى أن بعضهم وجد له وظيفة في هيئة الأمم المتحدة .

- طبعا الأمم المتحدة مجرد أكذوبة كبيرة ومهمة الأمين العام الوحيدة هي الإعراب عن قلقه وإنشغاله الدائم، زمن أصبحت فيه بؤر التوتر مثل إعلان عن وظيفة شاغرة لفائدة مبعوث أممي خاص .

شعر المستشار السياسي بنوع من الفخر والزعيم يوافق على أطروحاته المختلفة وخاصة أن المرحلة السياسية الحالية شائكة وكل الإحتمالات واردة، تأمل فخامته بكل إعجاب وواصل إنفراده السياسي الكبير .....

- سيدي سيكون هذا الناطق الرسمي أو الكاذب الرسمي كما جادت به فخامتك بمثابة حاجز منيع أمام كل المحاولات

الرامية لزعزعة إستقرار البلاد، ستصبح الأكاذيب الرسمية حقائق متداولة يصدقها الجميع .

- إذن سنحارب الإشاعات بالأكاذيب الرسمية والموثقة وبهذه الطريقة يمكننا ان نحافظ على هذا الوطن وتكون ضربة قاضية لكل الأيادي الأجنبية وعملاءها في الداخل، يجب أن تكون لهذا الناطق ندوة صحفية أسبوعية أمام وسائل الإعلام الوطنية والدولية ورسالته الأساسية هي الكذب الدائم لمواجهة الإعلام المضلل لأبناء شعبنا العزيز، يعني يجب أن ينطق كل أسبوع سواءا كانت هناك أحداث مهمة أو غير مهمة أو لم تقع أصلا .

- إطمئن سيدي، حالا سوف أختار لك بعض الأسماء المناسبة لهذا المنصب الجديد، وأترك لفخامتك إختيار الأفضل .

- لا أريد أن اسمع أشياء من نوع مصدر مطلع وآخر مأذون وآخر لا يرقى إليه الشك، يجب أن يكون هذا الناطق مصدرا لكل المعلومات التي نريد للشعب أن يعرفها حسب رؤيتنا الخاصة يمكنك المغادرة وأنا بإنتظار الأسماء المرشحة لهذا المنصب .

خرج المستشار السياسي مسرعا للقيام بما هو مطلوب، في حين كانت تبدو على الزعيم سعادة كبيرة وخاصة أن الكاذب الرسمي سوف يبدأ عمله قريبا .

صانع البؤساء

بعد كل هذه السنوات من التقاعد لا يصدق أنه أضحى خارج اللعبة السياسية، يعتقد أن البلد دوما بحاجة إلى خدماته، كان يعتبر العلبة السوداء للنظام وفجأة تحول إلى مجرد علبة كرتون مهملة.

يعتبر نفسه مهندس الكثير من القرارات الحاسمة التي أثرت في البلاد والعباد، يدرك جيدا بأنه شخصية غير مرغوب فيها على المستوى الشعبي، ولكنه يعتبر نفسه الرجل المذهل الذي جنب الدولة أزمات وكوارث كبيرة.

اليوم بلغه خبر وفاة زعيم سياسي كبير وقرر حضور جنازته وبالنسبة إليه هي فرصة للقيام بواجب العزاء ولقاء بعض الأصدقاء والأعداء في مكان مقدس لا يمكن لأحد أن يتطاول على آخر، زيادة على أنها فرصة للظهور الإعلامي.

وخاصة أن دبلوماسية الجنائز أصبحت تقليد غريب في هذا الوطن .

المقبرة محاطة بتعزيزات أمنية كبيرة وهذا بإعتبار أن الكثير من رجالات الدولة الكبار يتواجدون في المكان الذي من المفترض أن يتساوى فيه الكبار والصغار، أضحت مراسيم الدفن بروتكولات أكثر منها تذكر وعبرة، بل إن بعض الوجوه السياسية والعسكرية تجمعت هنا وهناك لتبادل أطراف الحديث حول وضع البلاد أو خريطة التموقع السياسي المحتمل، كلهم يفكرون في مصالحهم الخاصة وإمتيازاتهم المختلفة وكل واحد لديه مخططه الخاص في حالة سقوط المعبد على من فيه.

حانت لحظة مغادرة المقبرة، وبمجرد خروجه إستوقفته سيدة عجوز ولم تفسح له الطريق.

- لن أسامحك يا رجل أنت سبب فقداني زوجي وتشرد أولادي.

وجد نفسه مضطرا لمحاولة تفاديها....

- أي موضوع تتكلمين سيدتي ؟ أنا متقاعد منذ سنوات ولا أعرفك ولست معني بما حدث لزوجك.

إقتربت منه العجوز أكثر وبكل غضب صرخت في وجهه:

- أنت سبب كل المصائب التي حدثت بالبلاد، هل نسيت أنك اتخذت قرارات كبيرة ؟.. قد تكون تقاعدت ولكنك

قتلت وهجرت وشردت ونكبت عائلات، أنت من صنعت الكثير من البؤساء في هذا الوطن.

وجد نفسه في موقف لا يحسد عليه، كان متيقن بأنه لن يخضع للمحاسبة مهما طالت الأيام ولكن هذه العجوز المثقفة كما يبدو تريد أن تعرف الكثير بل وتريد إحراجه أمام الجميع وعليه تصور أنه في مناظرة تلفزيونية وقرر مناقشتها في أفكارها.

- سيدتي مع إحترامي وتقديري لك وتأثري بما حدث لزوجك ولأسرتك، يجب أن تعرفي أن اللحظات التاريخية الفارقة تتطلب قرارات حاسمة، وبالنسبة لي مصلحة الوطن فوق كل إعتبار.

إقتربت منه العجوز أكثر وبدت أقل توتر وخاصة أن رجل الدولة يبادلها الحديث بكل أريحية....

- ولكن هل مصلحة الوطن تقتضي إتخاذ إجراءات خاطئة ؟ تعتبرون الشعب مجرد قطيع، وحدكم تفكرون وتقررون والبؤساء يتحملون النتائج الكارثية.

- ولكن سيدتي نحن نعيش في هذه البلاد ونحس بمعاناة المواطنين ونتسوق معهم ونشاركهم يومياتهم، وأنا شخصيا كنت دوما حريص على هذا الوطن الغالي.

بعض دقائق إقترب بعض الفضوليين لمتابعة الحوار التاريخي والنادر وفي هذه اللحظة إستغلت السيدة الموقف وزادت في حدة هجوماتها.

- يا رجل نحن في زمن العولمة والأنترنيت والفضائيات الكل يعرف عقاراتكم وأرصدتكم المالية في الخارج وأبناءكم يدرسون في دول أجنبية .. الوطن بالنسبة لكم مجرد مصدر للثراء وفرصة دائمة لصفقات جديدة.

في هذه اللحظة إقترب الحارس الشخصي لرجل الدولة المتقاعد وحدثه خلسة، وهكذا غادر الرجل المكان مسرعا هاربا من السيدة التي أرادت محاسبته، ولكن قال لها جملته الأخيرة :

- سأكتب مذكراتي قريبا ويمكنك الإطلاع على كل الظروف والأسباب التي ميزت فترة وجودي في الحكم.

غادرت السيدة المنكوبة المكان بكل حزن وهي تتساءل عن مشروعية الأنظمة التي تبيح لبعض رجالاتها تجاوزات كبيرة في حق مواطنيها، وهل يقرأ الضحايا مذكرات القتلة ؟

بدايـات وزير

لم يكن يتصور بأن أيامه الأولى في الوزارة ستتضمن استقبال وزير دولة شقيقة، رئيس الحكومة أبلغه بأن الأمر يتعلق بأجندة سابقة تدخل في إطار التعاون الدولي .

نهض مبكرا على غير عادته، لحد الساعة لا يصدق بأنه أصبح وزيرا مهما في الطاقم الحكومي الجديد، من رجل أعمال مغمور في مدينة داخلية، إلى أضواء العاصمة وسحرها.

وصل مبكرا للقاعة الشرفية بالمطار رفقة الوفد المرافق له، اخبره مستشاره الخاص بأن الوزير الضيف سيصل بعد دقائق، وسائل الإعلام تملأ المكان، سيكون مضطرا لاحقا للإدلاء بتصريح صحفي يشرح فيه خلفيات الزيارة المرتقبة، لم يكترث للأمر فهو يعرف كل ما يمكن أن يقوله المهرجون السياسيون ويحفظ عن ظهر قلب التصريح الذي يقوله كل الوزراء وهذا بسبب إدمانه على نشرة الأخبار الرسمية قبل ظهور القنوات الفضائية، والذي مفاده أن الزيارة تندرج في إطار تكريس التبادل وتعزيز سبل التعاون المشترك وتطوير آفاق العلاقات الثنائية بين البلدين وممكن أيضا إضافة الفقرة الأهم وهي أن البلدين يمتلكان نفس الرؤى حول الرهانات الدولية ويؤمنان بمبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول وفض النزاعات بالطرق السلمية، ومؤخرا هناك فقرة جديدة تتعلق بتجربة البلد في مكافحة الإرهاب وإرساء دعائم السلم والمصالحة والتي يمكن إدراجها في ملف الأمن القومي ومتطلبات المرحلة.

و فيما كان يرتب أفكاره ويسترجع ذكرياته في دنيا المال والأعمال وكيف وجد نفسه وزيرا ؟ إقتربت منه صحفية شابة من أجل معرفة مضمون الزيارة الرسمية، ولكن الحرس الشخصي أوقفها قبل الإقتراب من الوزير الأنيق ولكن هذا الأخير وبإشارة منه إستطاعت أن تواصل طريقها إليه، فقد لاحظ أنها فاتنة وكأنها خرجت لتوها من إعلان إشهاري مثير، وبإعتبار أن الوزير يهتم بالمواهب الأنثوية فقد قرر الحديث معها في إنتظار وصول الضيف الرسمي.

إقتربت الفاتنة الإعلامية منه أكثر بطريقة إغرائية مميزة، كل شيء يهون في سبيل الحصول على سبق صحفي، وبعد تحيات سريعة دخلت مباشرة في الموضوع....

- ممكن أعرف سيدي الهدف من زيارة هذا الوزير وخاصة أن العلاقات مشحونة هذه الأيام ومتأزمة بين البلدين .

تأملها بكل رومانسية وهو يحاول أن يرمي بكل ثقله العاطفي في عيونها العسلية، في هذه اللحظات لا يفكر سوى في كيفية الإيقاع بها ولا يهمه أصلا تأزم العلاقات الثائية بين البلدين والتي ليس له فيها لا ناقة ولا جمل بإعتبار انه لم يتسلم منصبه الوزاري سوى منذ أيام قليلة.

- لا تشغلي بالك بهذه الزيارة، واضح انك جديدة في ميدان الإعلام، مرحبا بك في مكتبي في أي وقت يساعدك سوف أعطيك كل المعلومات حول علاقتنا بهذا البلد وكل بلدان العالم الأخرى تعرفي هناك معلومات مهمة لا يعرفها احد، سأجعلك تحققين سبق صحفي كبير .... المهم أنا أنتظرك.

أدركت الصحفية بما تمتلكه من حدس أنثوي أن الرجل مجرد زير نساء في بدلة رسمية بعنوان وزير، ولكنها لن تضيع الفرصة

فقد تجد فيه مصلحة ما في المستقبل القريب وحاولت إرجاعه إلى وظيفته بطريقة لبقة وذكية.

- يسعدني أن أزورك قريبا أنا في بداية مشواري الإعلامي وأي سبق صحفي سوف يجعل رئيس التحرير يقتنع بقدراتي أكثر.

اقترب منها الوزير أكثر وهو يقرأ في خريطة جسدها قدرات أخرى يتوق إلى إكتشافها.

- طبعا أنا في الخدمة أريد أن تكوني أفضل صحفية في المشهد الإعلامي الوطني وحتى الدولي .

- ولكن سيدي أريد أن تحدثني عن طبيعة هذه الزيارة التي جاءت مفاجئة لكل التوقعات ؟

- لا تصدقي ما تكتبه صحف المعارضة، علاقتنا متميزة معهم وتتطور إلى الأحسن، نحن نعمل بمبدأ العلاقات الإقتصادية المتوازنة التي تفيد مصالحنا المشتركة.

غادرت الصحفية الفاتنة المكان بسرعة فقد أدركت أن الرجل يراوغ في إجاباته وفي نفس الوقت يسعى إلى الإيقاع بها بأي طريقة في شباكه الغرامية.

في هذه الأثناء كان الوزير العاشق يستعد للتوجه إلى أرضية المطار لإستقبال الزائر الرسمي، أكثر ما أزعجه في مهامه الجديدة حجم البرتوكولات التي لم يتعود عليها، فقد إكتشف أن المناصب السامية تفرض على صاحبها نمط حياة متعب وطريقة تصرف فيها الكثير من التكلف والمبالغة.

و أخيرا حطت الطائرة التي تحمل وفد الدولة الشقيقة، تدحرجت إلى غاية البساط الأحمر، تقدم بكل تثاقل وهو يفكر في تلك الصحفية التي رفضت الإنصياع إلى رغباته، لم يعد يهمه مستقبل العلاقات الثنائية بين البلدين وكل ما يهمه في الوقت

الحالي علاقاته الغرامية التي يسعى من خلالها إلى تكريس وتنفيذ كل مخططاته الرومانسية على كل الأصعدة.

تحرك رفقة الوفد المرافق له بإتجاه مدرج الطائرة وهذا لكي يعيش أول إستقبال رسمي في مساره الوزاري ويعرف عن قرب حقيقة المشهد الذي طالما تابعه في نشرات الأخبار.

وقف بمحاذاة البساط الأحمر منتظرا نزول الوزير الضيف وبالقرب منه فتاة صغيرة بلباس تقليدي جميل، تحمل باقة من الأزهار، تبدو منهكة من التعب بسبب طول الإنتظار وحرارة الشمس يمكن إعتبارها من ضحايا البروتكولات والزيارات الرسمية.

و أخيرا ظهر الوزير الضيف على سلم الطائرة ينزل بخطوات إستعراضية تدل على أنه يحمل في جعبته حلول سحرية من أجل تطوير العلاقات بين البلدين، وبعد تحيات مصطنعة من الطرفين توجه الوفدان الوزاريان إلى القاعة الشرفية التي تعتبر منعرج حاسم لكل الزيارات الرسمية.

بعد أن عبر عن سعادته بهذه الزيارة وتحدث أيضا عن آفاق العلاقات الثنائية، أعطى الكلمة للوزير الضيف أمام وسائل الإعلام المختلفة، في حين فضل صاحبنا أن يقوم بعملية مسح شاملة لوفد الدولة الشقيقة، أثارت إنتباهه مرافقة للوزير تتميز بجمال صارخ وحضور أنثوي جميل وبدت وكأنها تغرد خارج السرب، وزاد تفاعله معها أكثر حين لاحظ أنها تبادله نفس نظرات الإعجاب وأخيرا سيتمكن من إختبار قدراته الرومانسية خارج الحدود وهذا أيضا من شأنه أن يساهم في ترقية التعاون الدولي.

كانت علامات السعادة بادية على وزير الدولة الشقيقة وخاصة انه يحمل معه الكثير من المشاريع المشتركة والتي قد تجعل الميزان التجاري لصالحهم وهذا من شأنه أن يقلل من حدة الغليان الشعبي وتعنت المعارضة.

و فجأة اقترب المستشار الخاص منه واخبره بوقوع إنقلاب في الدولة الشقيقة منذ دقائق، حيث استطاع قائد القوات العسكرية الإطاحة بالرئيس المنتخب وهناك مطاردة لكل الطاقم الحكومي وقد أعلن القائد الإنقلابي توقيف العمل بالدستور وغلق الأجواء وحظر الطيران.

في هذه اللحظات تغيرت ملامح الوزير الضيف وخاصة أن الخبر وصله أيضا، فقد وجد نفسه في وضعية لا يحسد عليها

هل يطلب اللجوء السياسي ؟ أم يعود إلى قائد الإنقلاب ؟ ولكن الشيء المؤكد أن برنامج الزيارة الرسمي لن يكون له أي وجود.

سوف يترقب الوضع عن قرب في انتظار ما يمكن للهيئات الدولية عمله من أجل إعادة المسار الديمقراطي إلى بلده.

لم يكن يتصور أن بداية عمله في الطاقم الحكومي ستكون نحس على الدولة الشقيقة، يعني العلاقات لم تعد مشحونة ويمكن إيجاد صيغة تفاهم مع الحاكم الجديد، فعلا في دول العالم الثالث لا يمكن أبدا أن يستقر نظام الحكم مهما حاول البعض الحفاظ عليه بكل الطرق الإستبدادية، ولكن على كل حال وجد نفسه مطالب بمواساة الوزير الزائر وهذا أيضا يندرج ضمن التعاون الدولي وتجفيف منابع الحزن التي سادت في القاعة الشرفية.

الحسناء المرافقة للوزير الضيف كانت في وضعية كارثية وبدت الأكثر حزنا ضمن الوفد الرسمي، وحاولت أن تبتسم ولكن تقاسيم وجهها تعكس الكثير من الخوف والحيرة.

بعد دقائق غادر الجميع المكان، بالنسبة للوزير الجديد كانت تجربة مفيدة وان لم تكن مكتملة، على الأقل سوف لن يجد أي صعوبة في إستقبال أي وزراء آخرين مستقبلا.

صراع ثنائي

مثل كل اللقاءات السابقة وعود وردية وكلام معسول، الزواج آخر اهتماماته، مع أنها أعطت الكثير ولكنه مازال يتماطل في القيام بخطوات ملموسة تؤكد عزمه على تكوين أسرة.

دخلت إلى مكتب صديقتها في العمل بكل يأس وحزن ولم تعد لديها القدرة على الصبر أكثر، العمر يمضي وهي كأنثى أسهمها في إنخفاض مستمر.

- هل من جديد لدى فارس الأحلام المزيفة ؟ سألتها صديقتها مع أنها تعرف الإجابة مسبقا.

- لاشيء عزيزتي ما زال يعيش أوهام الرومانسية ولا يريد أن يتصرف كرجل صاحب موقف أو قضية هامة.

- أنت طيبة جدا صديقتي ربما لديه حبيبة أخرى وأنت مجرد تربص تحضيري لزواج آخر ....قالتها بكل سخرية.

اقتربت من نافذة المكتب أكثر بكل تثاقل واستدرات بكل حيرة نحو صديقتها....

- وماذا افعل معه ؟ حاولت إقناعه بكل الطرق ولكن بدون جدوى، هل لديك حل سحري ؟

- الحل هو السحر، هناك شيخ في ضاحية المدينة ذاع صيته في البلاد سيقوم بما يجب، سيصبح عادل رهن إشارتك وسوف يتزوجك في الحال.

جلست مندهشة غير مصدقة لما تسمعه، ولكن بعد تفكير أعجبتها الفكرة ولما لا، المهم أن تظفر به وتطرد شبح العنوسة الذي يرافقها منذ سنوات.

- موافقة عزيزتي بشرط أن تكون النتيجة مضمونة، أما المال فليس ثمة مشكل أي مبلغ يريده سوف ادفعه له.

فرحت صديقتها بهذه الإستجابة الفورية الغير متوقعة ونهضت من مكتبها بكل حيوية.

- إذن غداء اليوم على حسابك لنحتفل بهذه الخطة الجهنمية لنخرج الآن بسرعة قبل أن تتراجعي عن قرارك.

- تفضلي أمامي أيتها الساحرة الجميلة، اختاري أي مطعم والفاتورة على حسابي طبعا .

في الغد انتقلت مع صديقتها إلى ضاحية المدينة حيث يمارس الشيخ طقوسه الغريبة وجدت في مدخل العمارة الكثير من النساء يبدو أن لكل واحدة منهن قصة مع رجل ما، جلست تنتظر دورها وتتأمل كل الوجوه الراغبة في الحصول وصفة سحرية تتيح التحكم في الرجل أو جلب الحظ وغيرها من الطموحات النسائية الكثيرة في هذه الدنيا .

فتحت حقيبتها وتأكدت من وجود صورة فارس أحلامها الهارب هذا ما يجب إحضاره للشيخ كما أخبرتها صديقتها، سيكون كالخاتم في إصبعها قريبا سوف يفعل كل ما تريده وستكون البداية بزواج سريع.

كانت لديها صورة نمطية لأي ساحر، منظر مخيف وكرة سحرية وبعض الشموع ولكن لما دخلت إلى الغرفة وجدت مكان جميل ومريح وشيخ مبتسم يرحب بها، كانت لكلماته سحر كبير وبالأخص أنه ساحر، صديقتها منبهرة جدا أيضا بمحقق الأمنيات المستحيلة.

بعد أن استمع إليها بكل اهتمام نهض من مكانه وعاد بورقة لونها اصفر باهت وكتب عليها بخط غير مفهوم وألصقها بالصورة التي أحضرتها .

وبدأ الشيخ الوسيم يلقي عليها تعليمات تتعلق بما يجب أن تقوم به أي خريطة طريق سحرية مذهلة .

- سيأتي إليك راكعا في غضون يوم أو يومين على الأكثر ومبروك عليك العرس قريبا .... هذا ما قاله وهو يستلم أتعابه بكل تركيز.

غادرت المكان بسرعة رفقة صديقتها في عوالم السحر، لم تكن تتصور في يوما ما أنها ستمشي في طريق غريب ولكنها أقنعت نفسها بأنه لم يكن بوسعها إلا هذا الخيار وخاصة أن فارس أحلامها ما زال مصرا على البقاء في عالم الأحلام فقط .

قامت بوضع الحرز في مقبرة مجاورة وهذا بناءا على تعليمات جالب الحظ، تظاهرت بزيارة احد القبور وتمكنت بكل سهولة من تنفيذ المهمة.

في صباح اليوم الموالي ذهبت إلى عملها بكل نشاط وسعادة وتخيلت أنها ستجد عادل الزوج الموعود في إنتظارها، ولكنها وجدت صديقتها تهرع نحوها بكل لهفة.

- صباح النور، عزيزتي هل من جديد عن العريس ؟

- ليس الأمر كما تتصوري، أظن أن الأمر يتطلب بعض الوقت سوف أزوره في مكتبه وأتكلم معه حول مستقبل علاقتنا ومن ثمة يمكنني أن اعرف مدى فعالية السحر.

إنتقلت بسرعة إلى الطابق الثالث من المبنى الإداري من أجل معرفة الجديد عند الزوج الموعود.

وجدته كعادته منكبا على مجموعة من الملفات يراجعها ولم تظهر عليه أي علامة تدل على أن السحر أتى بمفعوله وبالعكس استقبلها بكل برودة.

غادرت المكان بكل سرعة وهي تلعن المسار الخاطئ لقصتها معه وأدركت بأن الرجل لديه مناعة كبيرة ولا يمكن لأي ساحر أن يجلبه لها .

- لا تقلقي عزيزتي، أمامك يوم أو يومين ليظهر أثر الحرز لما أنت مستعجلة .... قالت صديقتها بكل ثقة.

- لقد أصبح تفكيري الدائم منشغل به لا اعرف ما يحدث معي.

دخلت موظفة تعمل بنفس المصلحة، تحمل بعض الحلويات ووزعتها على الجميع بكل فرح، أكيد مناسبة ما كالعادة.

- إن شاء الله عندكم، لقد خطبت أمس وعن قريب الفرح الكبير .....

و خرجت مسرعة للمكاتب الأخرى وبدى وكأنها تهرب من الحسد والعيون المنصبة نحوها.

تناولت بعض الحلويات بكل أسى وهي تفكر في اليوم الذي ستعيش فيه نفس اللحظات، ولا تدرك كيف استطاعت أقصر إمرأة في المبنى الإداري أن تظفر برجل ؟

و كأن صديقتها فهمت ما يدور بذهنها وبسرعة ردت عليها بكل ثقة...

- لقد تعرفت عليه في دورة تكوين المستخدمين الأخيرة بالعاصمة وهو من مدينة صحراوية داخلية وتعرفين أن أهل الصحراء أناس طيبون جدا وزميلتنا لم تجد صعوبة في إبهاره بقدراتها الأنثوية في أسبوع، وبمجرد ما عاد إلى أهله إستطاع أن يقنعهم بجدوى إختياره ووافقوا بسرعة وتمت الخطبة.

خرجت سهام بكل تثاقل من البيت فقد أصبح الملل رفيقها الدائم، وما إن اقتربت من محطة الحافلات حتى تفاجأت برجل مبتسم يشير إليها، وكم كانت صدمتها وفرحتها في آن واحد .... عادل ينتظرها بكل لهفة.

- صباح النور، لا تستغربي اليوم قررت أن أرافقك إلى العمل وخاصة وإنني ارغب في الحديث معك حول موضوع مهم.

بقيت تستمع إليه بكل اهتمام وهي لا تصدق ما يحدث، يبدو أن الساحر كان يعرف ما يقول حين أخبرها أن الحرز يتم تفعيله في يوم أو يومين، يبدو أن الأمر لا يختلف عن تفعيل أي بطاقة تعبئة.

أول مرة الركوب في الحافلة لديه طعم خاص، لم تعد تكترث لأحد وخاصة أن فارس الأحلام متشوق للحديث معها وكأنه يراها لأول مرة إقترب منها أكثر وهو يحدثها بكل فرح وسعادة أما هي فلا تصدق ما يحدث معها.

- سأتقدم لخطبتك قريبا والزواج سيكون خلال ايام عزيزتي.

تراجعت للخلف قليلا وكلها استغراب لهذه النقلة النوعية والإستجابة الفورية.

- وأخيرا سيتحقق الحلم ويجمعنا سقف واحد.

كانت الأيام الموالية تسير بطريقة سحرية مذهلة، لم تعد بحاجة إلى أن تتصل به بل أصبح العريس منشغل بها يوميا ويسأل عنها في كل الأوقات ويستعجل لإتمام مراسيم الزواج.

حتى صديقتها تفاجأت بالتطور الكبير في الأحداث ولم يعد أمامها سوى المرور بنفس المسار من حقها أيضا أن تخرج من عوالم العنوسة.

وفيما كانت سهام منشغلة بترتيبات العرس الكثيرة كانت صديقتها تعيش غيرة وقلق وأصبح لديها تجمع كبير للمشاعر الحاقدة لم تستوعب ما يحدث.

و في لحظة قررت أن تتحرك ضد التيار، لابد أن تخطف منها الرجل مهما كلفها الأمر، وبما انه ليس هناك متسع للإغراء والغراميات وخاصة أن هذا الأخير قلبه معلق بإحكام بوصفة سحرية، لابد لها أن تستعمل نفس الأسلوب حرز مضاد وفعال يغير مسار الأحداث.

استطاعت أن تجد صورة للرجل في أرشيفها الشخصي وخاصة انه يعمل معها أيضا وفي الكثير من المناسبات يتم أخذ صور تذكارية أسرعت إلى صانع الفرح بكل نشاط وحيوية، إنها حرب مشروعة للظفر بعريس في هذا الزمن الذي لم يعد للصدفة أو الحب الحقيقي وجود.

استقبلها الشيخ كعادته بإبتسامة ساحرة، وما إن أكملت حديثها حتى طلب منها الصورة، ولكنه تفاجأ ورفع بصره نحوها بكل استغراب.

- هذه الصورة مرت منذ أيام فقط عندي، تذكرت كنت مع تلك الفتاة التي أرادت أن تتزوج مهما كان الثمن... ما الذي حدث حتى عدت بنفس الصورة ؟ هل هي حرب ثنائية حول هذا الرجل؟

استطاعت أن تستجمع كل قدراتها على الإقناع واقتربت منه أكثر محاولة أن تشرح أكثر الوضع ....

- بصراحة سيدي أنا أجدر به ومن حقي أن يكون زوجا لي.

تأمل الشيخ الصورة أكثر وقال بعض الكلمات الغير مفهومة ورفع بصره نحوها ....

- إذا تدفعي أكثر لا مشكل عندي سوف أبطل مفعول الحرز الأول واعمل لك واحد آخر، سينساها ويتحول لك بسرعة مذهلة ساعات وليس أيام اطمئني.

فرحت بما قاله وعدلت من جلستها وبكل إصرار استطاعت أن ترد عليه وبكل ثقة.

- سأمنحك كل ما تريده، أحضرت لك معي مبلغا لا يمكن لك تصوره.

خرجت من عنده بعد دقائق تحمل في حقيبتها الحرز الخارق الذي سوف يمنحها السعادة في أسرع وقت، وتوجهت مباشرة إلى المقبرة المجاورة لإنجاز الشطر الأول من المهمة، سوف تدفن أحلام صديقتها وتعيد لحياتها الأمل الضائع منها.

سفير في ورطة

وصل السفير إلى مقر الرئاسة في الوقت المناسب، وجد في استقباله مدير الديوان، لحد الساعة لا يعرف سبب إستدعاءه العاجل، حاول معرفة فحوى الأمر ولكن هذا الأخير أبلغه بأنه لا يعرف شيء كل ما في الأمر أن الرئيس طلبه بصورة سريعة وأصر على دخوله للبلاد.

لو تم إستدعاءه من طرف وزير الخارجية، كان يمكن إعتبار الأمر يدخل في إطار العمل الروتيني للنشاط الدبلوماسي، ولكن أن يكون الرئيس هو صاحب الدعوة الإستعجالية فهذا أمر مثير للريبة والتخوف وخاصة أن الفترة الأخيرة شهدت الكثير من قرارات التنحية التي صدرت عن الرئاسة.

تمضي الدقائق وكأنها ساعات بالنسبة للسفير، مساره الدبلوماسي بأكمله يتجسد أمامه، من ملحق دبلوماسي مغمور ببلد إفريقي لا يكاد يذكر في الساحة الدولية إلى قنصل في دولة آسيوية وأخيرا أصبح سفيرا فوق العادة في عاصمة أوربية مرموقة، لم يحدث أي مشكل عنده وليس لديه أي شكاوي من طرف الرعايا، مع انه في زمن الأنترنات والفايس بوك كل شيء ممكن، ربما هناك أطراف تريد أن تفسد عليه فرحته الحديثة بمنصبه الجديد، باعتبار أن المنظومة يمكنها أن تتخلى عن أي شخص في أي لحظة بأسباب أو بدونها.

تذكر كتاب كان قرأه منذ سنوات، يتكلم فيه مؤلفه عن اللحظات التاريخية الحاسمة، وعن كيفية التصرف مع الأزمات ومفاده حين نقبل السيناريو الأسوأ تصبح كل السيناريوهات السيئة مقبولة .

يجب عليه أن يبدأ بالفكرة الأكثر سوءا وهي تنحيته من المنصب والعودة للديار بحقيبة غير دبلوماسية، في هذه الحالة ما عليه سوى التفرغ لتسيير شركته المختصة في الخدمات الفندقية والتي أنشأها بإسم زوجته منذ سنوات، أو المتابعة المباشرة لمشروعه الفلاحي الكبير الذي يشرف عليه صهره منذ فترة ليست بالبعيدة وفي كل الأحوال سيبقى غير بعيد عن المنظومة الحاكمة بإعتباره دبلوماسي سابق.

و ما إن سافر عبر الزمن وأخذ يعيش الواقع الذي تخيله حتى وجد نفسه بصدد منبه زمني حاد يخبره بوجود سيناريو آخر أكثر سوءا لا يمكن توقعه، مثل إتهامه بتحويل أموال السفارة إلى وجهات أخرى أو المساس بسمعة البلد في الخارج أو تدبير محاولة إنقلابية ضد الرئيس بالتواطئ مع جهات خارجية وطبعا هذه ستكون تحت بند الخيانة العظمى وجزاءها حتما الإعدام بحكم قضائي أو أن تكلف أطراف بتصفيته خارج نطاق القضاء، أو يرمى به بين أحضان الشعب الحاقد على كل رموز الدولة، ليسحل في الطرقات .

وجد نفسه يتصبب عرقا من هذا السيناريو الأليم وإرتمى أكثر على الأريكة الفاخرة وشرب كأس العصير البارد بكل لهفة وعطش في نفس الوقت.

و ما إن أوقف آلة الزمن حتى كاد ينهض ويصفق ويقدم أروع التحيات إلى خياله الواسع والمبدع وخاصة أنه سيغادر الحياة طبقا لآخر سيناريو ملعون.

يتذكر دوما ما كان يقوله درويش القرية :

لا تتزعج يا بني أي مشكل سيكون له حل حتى ولو بقطع الرأس.

لم يستطيع أن يخرج من الكابوس وخاصة انه يجلس وحيدا في انتظار الدخول إلى مكتب فخامة الرئيس، لا يصدق أن خاتمة مساره الدبلوماسي ستكون حزينة وغير متوقعة.

أفنى سنوات طويلة من عمره في السلك الدبلوماسي والآن يخاف أن يذهب ضحية سلك معدني يدمر حياته، يعني إحتمال أن يسجن أمر وارد جدا.

لديه قناعة بان المنظومة لن تجد أي صعوبة في تلفيق تهمة جاهزة له وهذا طبعا بالإستعانة بترسانة إعلامية عميلة متحكم فيها عن طريق الإشهار وشراء الذمم، فعلا لديهم قدرات رهيبة في تلميع الشخصيات أو تسويدها.

دخل عليه السكرتير الشخصي للرئيس بوجه عابس وملامح مزعجة وهذا ما يكرس تخوفه الكبير من الإستدعاء المفاجئ له من الخارج .

- بعد دقائق سيستقبلك فخامته سأطلب لك فنجان قهوة تعدل به مزاجك.

قال جملته وخرج بنفس الطريقة التي دخل بها.

في هذه اللحظات أضحت كل تخمينات السفير في محلها ولا شيء يوحي باستقبال عادي، فعلا لقد اقتربت نهايته المأساوية، ربما إبقاءه في قاعة الانتظار لفترة طويلة يدخل في إطار حرب نفسية غير معلنة، ولكن الرئيس ليس بحاجة إلى ممارسات من هذا النوع فهو مجرد سفير من بين عشرات السفراء الذي ينتشرون عبر أصقاع العالم.

حين وضع فنجان القهوة أمامه تردد في ارتشافه ومن يدري ربما كان طريقه إلى العالم الآخر بسم قاتل في ثواني يجعله سفير فوق العادة في مقبرة مغمورة لا يزورها أحد.

الزمن في هذه اللحظات أضحى مشجبا حزينا تعلق عليه كل مخاوفه ونكساته وهزائمه، ما أصعب بداية النهاية، والأكثر صعوبة أن يصبح ذهنه مسرحا لكل الإحتمالات الصادمة.

وبدأ يسترجع شريط ذكرياته كخادم وفي ومطيع للدولة وفيما يتعلق بملفات ما قد تورطه، هم أصلا ليسوا بحاجة إلى تلفيق تهم أو قضايا طيلة مشواره عبر كل المناصب التي شغلها كانت له أخطاء مرتبطة بفضائح مالية أو نزوات جنسية والتي كان سرعان ما يتم التكتم عليها حفاظا على هيبة الدولة، الملفات الوسخة تمثل دولة داخل دولة وكل طرف داخل المنظومة يمتلك ما يدين الطرف الآخر ولكن لا أحد يلجأ للعدالة، أنها توازنات مصالح وريع وجماعات ضاغطة وجماعات صامتة.

يعرف بعض ما يحدث داخل دهاليز الحكم ولكنه يدرك جيدا أنه ليس بالرقم المهم في معادلة النظام ويمكن الإستغناء عنه في أي لحظة كما يمكن طلب خدماته في أي لحظة أخر.

أحس أن عقله الباطني أصبح بمثابة ملتقى دولي حول سياسات الأنظمة الحاكمة في العالم الثالث، حيث أن أفكاره المتصارعة وتحاليله الكثيرة والمميزة تمثل مداخلات رجالات الفكر السياسي في العالم.

و فجأة صوت داخلي بأعماقه يوقف كل الجدل والتساؤلات الغريبة ولكن بطرح قراءات أخرى لتفسير الإستدعاء المستعجل من طرف فخامة الرئيس.

حاول أن يسترجع قائمة الوزراء أو الشخصيات المهمة التي زارته في الفترة الأخيرة، قد تكون وشاية من احدهم أو تقرير كاذب حول سوء إستقبال لوفد رسمي.

أو توصية لم تلبى لشخصية مرموقة في الحكم أو خارجه، فالكل يتزاحمون على سفارات البلد بالخارج، الإطارات السامية العاملة والمتقاعدة وهذا بدون إحتساب عائلاتهم، مصالح وإنشغالات لا تنتهي.

المواطن العادي مهما وجد من خدمات سيئة لا يفعل شيء ولن يسمع صوته مهما كتب أو احتج لدي الهيئات العليا، بإعتبار انه لابد من الحفاظ دوما على تلك الصورة الجميلة للبلد بين الأمم.

وصل السفير إلى مرحلة إستهلك فيها كل الفرضيات الممكنة والآن يجد نفسه مستعد لأي قرار يصدر عن الرئيس مهما كانت درجة قساوته على حياته أو مساره في السلك الدبلوماسي، النهاية مهما كانت يراها الآن أفضل من الوساوس الكثيرة التي تنتابه.

لا يصدق بأنه يمكن أن يصبح مجرد مواطن عادي يتجول في الأسواق ويتأثر بأي إرتفاع في أسعار السلع والخدمات، في الحقيقة لم يعد يهمه المنصب بقدر ما يهمه أن تكون نهايته بأقل سوء ممكن وخاصة انه تعود على نمط عيش خاص وسيجد صعوبة في إقناع عائلته بوضعه الجديد وأقصى ما يتمناه أن تتم تنحيته من المنصب بدون محاسبة وهكذا يصبح مثل الكثير من الأسماء الكبيرة التي أصبحت صغيرة واختفت بكل هدوء من المشهد السياسي للبلاد.

- تفضل سيدي الرئيس يطلبك .... هذا ما قاله السكرتير.

نهض بكل قلق وفرح وخاصة أنه سيعرف أخيرا نهايته التي طال إنتظارها، بعد كل الحسابات والتوقعات والكوابيس التي عاشها بدون أن ينام سيكون محظوظ بمقابلة فخامته وسماع الحكم الذي سيرمي به في الحضيض أو في بئر ليس لها قرار.

الرئيس كعادته بسيجاره الكوبي الفاخر يقف في منتصف المكتب دوائر الدخان تعلو وجهه، ربما يفكر في مبادرة سحرية تخرج البلاد من عنق الزجاجة.

و ما كاد السفير يجلس في مكانه، ويسترجع أنفاسه المنهكة بثقل ما عاناه في قاعة الإنتظار، حتى وجد نفسه يعيش حالة وسطى بين الموت والحياة، بين العطش والإرتواء، بين الخوف والفرح.

- و كيف الحال عندك ؟ سأله الرئيس بدون مقدمات.

بقي السفير في مكانه يريد أن يتكلم ولكنه لا يستطيع الكلام، أحس بأنه يعيش كل الأزمان في مكان واحد وكأنه أصبح تمثال من عصور ما قبل التاريخ، يشاهد الرئيس بكل ملامحه ينتظر إجابة منه ولكنه عاجز عن قول كلمة واحدة، وهذا السؤال الذي طرحه فخامته لا يعكس أي سؤال، انه مثل صباح الخير التي قد يقولها المرء لأي شخص يصادفه في الطريق.

و أي حال يقصد الرئيس، حالته الشخصية أم حالة السفارة أم أحوال أخرى مجهولة، إنه سؤال يحمل في طياته غموض كبير فيه نوع من التهكم أو الوعيد انه يشبه سبر آراء حول قضية نتائجها معروفة مسبقا.

و في لحظة تاريخية فارقة تشبه صرخة ممثل مغمور على خشبة المسرح، إستطاع السفير أن يستجمع كل قدراته وأفكاره ويخاطب الرئيس بثقة تخفي وراءها مشروع إنهيار تام.

- ..... أنا بخير سيدي كل شيء على ما يرام.

مشى الرئيس بخطوات واثقة نحو شرفة المكتب ثم عاد إلى السفير بكل سرعة ليعبر عن المغزى الحقيقي للقاء المستعجل.

- ستكون رئيس الحكومة الجديدة، عليك أن تجهز نفسك من الآن.

لم يصدق السفير ما سمعه وكأنه يعيش اغرب حلم في الواقع ولكنه إستطاع أن يرد بكل ثقة.

- أنا في الخدمة سيدي ومستعد لتحمل المهمة وسأكون عند حسن ظنك.

- الحكومة الحالية فاشلة على كل الأصعدة ولم يعد لها أي رصيد شعبي، المشهد السياسي بأكمله يعيش سقوطا مذهلا، موالاة بلهاء ومعارضة مجنونة..... هذا ما قاله الرئيس .

شعر السفير بسعادة كبيرة وهو يستمع إلى فخامته فعلا إنه تشريح يعكس مدى الأزمة الكبيرة التي تعيشها البلاد، أراد أن يحكي للرئيس عن رأيه الشخصي حول نظرته للواقع السياسي ولكنه وجد نفسه يعيش أجواء رائعة لم يكن يتوقعها من مهدد بالتصفية أو التنحية إلى رئيس حكومة، فعلا الحياة دائما تخفي سيناريوهات أفضل هواجسه ومخاوفه كلها تبددت في لحظات والقادم سيكون أروع وأجمل.

غادر السفير مقر الرئاسة بكل نشاط وحيوية وهو يفكر في التشكيلة الحكومية التي سيقترحها على الرئيس في غضون أيام.

فخامته يؤكد على ضرورة إختيار وجوه جديدة قد تضفي شيئا من المصداقية على الدولة التي تعيش أوضاع داخلية متدهورة مست كل القطاعات.

رحلة عودته كانت تختلف كثيرا عن بدايتها، من سفير مهدد بنهاية مأساوية إلى رئيس حكومة بصلاحيات موسعة فعلا حين تتوفر الإرادة السياسية كل شيء ممكن.

محاولة غير إنقلابية

جلس يرتشف فنجان قهوة في شرفة فندق باريسي مشهور، متأملا عاصمة الجن والملائكة، ينتظر بكل قلق الرجل الذي بإمكانه أن يوصله إلى سدة الحكم ببلده .

غادر الوطن منذ يومين حاملا في حقيبته مشروع إنقلاب لم يتجسد لحد الساعة، بالرغم من تواجده في دواليب السلطة منذ سنوات إلا انه لم يفهم لحد الساعة سر عدم سقوط المعبد على أصحابه شعبية الحكومة في الحضيض وأزمة إقتصادية خانقة ولكن الوضع السياسي ما زال مستقرا، يعتقد أن رحلته ستكون آخر مسمسار في نعش من يحكمون البلد.

أحزاب المعارضة لن تصل للحكم وأحزاب الموالاة لم تكن يوما في السلطة، وهذا ما جعله يفكر في خطة يعتبرها بمثابة طريق ثالث لا بديل عنه، التغيير داخل نواة النظام أو زعزعة النسق الخفي الذي لا يعرفه أحد.

إنه يبحث عن وصفة سحرية مذهلة تجعله الرجل القائد والملهم الذي تصفق له الجماهير وتهتف بإسمه في الشوارع وفي كل المنابر يريد أن يدخل التاريخ من بابه الواسع ويهزم جغرافيا المكان بالرغم من فقدان الأمل في هبة شعبية مؤيدة له وخاصة مع سنوات التدجين والخنوع التي جعلت المواطن لا يفكر في تغيير وضعه السياسي أو إسقاط النظام بقدر ما يفكر في الحصول على سكن أو وظيفة ولقمة العيش، جماهير تعيش ولا تعيش ولكنه من جهة أخرى مقتنع بوجود فئة من الشعب ممكن أن يعول عليها إذا ما تم توظيفها عن طريق نقابات أو جماعات ضغط ونفوذ والتاريخ

السياسي دائما يؤكد أن خروج الناس غالبا ما يكون مفاجئ ومؤثر وليست العبرة بالعدد وكلمة الشعب مصطلح يستعمل دوما لتبرير تصرف أو سلوك فئات من المواطنين، وموكب عرس بإمكانه أن يتحول إلى شعب حين يرفع مطالب سياسية.

أخيرا وصل متعهد الأزمات ببدلته الأنيقة وإبتسامته الماكرة فقد أضحى حاضرا عبر كل الفضائيات والندوات والملتقيات في كل أصقاع العالم، يبشر بمستقبل أجمل لكل الشعوب التي تناضل من أجل مكافحة الإستبداد ودكتاتورية الأنظمة والحكام.

- لدي خبرة دولية في قلب كل أنواع الأنظمة ولدي سجل حافل بإنجازات لا يمكن لأي احد أن ينكرها، وأفضل المناطق التي تستهويني، القارة الإفريقية التي أعتبرها أروع فضاء إنقلابي في العالم ثم أمريكا الجنوبية والبلدان العربية.

- طبعا سيدي لا يمكنني إلا أن اعترف بقدراتك الرهيبة في تغيير الأنظمة المستبدة.

اقترب راعي الأزمات من صاحبنا أكثر وبكل خبث سأله:

- وحين أساعدك على الوصول إلى الحكم ببلدك، هل تضمن لي بأنك لن تكون حاكما مستبدا جديدا ؟

- إطمئن يا صديقي تعرف بأنني من دعاة الديمقراطية منذ سنوات وشعاري الأساسي هو التداول السلمي على السلطة وإحترام الدستور وإستقلالية القضاء.

- نفس الخطاب أسمعه منذ سنوات، أنها اسطوانة مشروخة تستعمل لإستمالة قلوب الجماهير يستعملها كل إنقلابي جديد، كان يمكنك الإنتظار حتى تصل إلى السلطة عن طريق الصندوق الإنتخابي.

- وهل تصدق أكذوبة الإنتخابات عندنا؟ التزوير هو الحاضر الأول في الأوراق أو في الإدارة، دائما هناك وعود بإنتخابات نزيهة ولكن في الواقع لا ينجح سوى من تزكيهم دوائر النظام.

لدينا دولة داخل دولة، لقد وصلنا أخيرا إلى مرحلة التزوير الذكي.

نهض متعهد الأزمات من مقعده وإقترب أكثر من شرفة الفندق.

ثم عاد بكل هدوء إلى مكانه، قائلا بكل إستغراب :

- فعلا بالرغم من خبرتي الكبيرة في السياسة وكواليس الأنظمة ودوري الكبير في عدة إنقلابات عبر مختلف القارات، وعلاقاتي القوية بالكثير من زعامات العالم، إلا أنني لحد الساعة لم افهم طبيعة النظام لديكم، نسق خفي لا يمكن فهمه، توازانات معقدة وحسابات لا يمكن توقعها.

- سيدي لدينا أصعب نظام حكم في العالم، لا يمكنك أن تفهم من أين يبدأ وأين ينتهي، كل ما نراه في الواجهة السياسية والإعلامية مجرد بيادق لا غير، لديهم قدرة رهيبة على التزوير بكل أنواعه ويستطيعون التأقلم مع كل الظروف مهما كانت شدتها.

- ليس هناك دليل عالمي موحد لإسقاط الأنظمة لكل بلد خصوصياته وظروفه، ولكن هناك نظامان لا يمكن إسقاطهما نظام قمعي بوليسي أو نظام منتخب ديمقراطي، أروع الإنقلابات حين تكون من داخل الدائرة الضيقة للسلطة، في هذه الحالة تكون نسبة النجاح مرتفعة.

- نحن لا نعرف حتى من يحكم البلد، وأنت تحدثني عن الدائرة الضيقة، يبدو أن رحلتي لن يكون لها جدوى وسأعود خالي الوفاض.

إبتسم الراعي الرسمي لكل الثورات والثورات المضادة بكل دهاء محاولا ان يعيد إليه شيء من الأمل.

- لا تقلق عزيزي ولا تفقد طموحاتك، قد تكون الطريق طويلة ولكن بتخطيط وتنسيق يمكننا إسقاط النظام عندكم وبالدول المجاورة لكم أيضا، أريد تسونامي سياسي بالمنطقة يغير كل الموازين.

بعد أسبوع في عاصمة الجن والملائكة والشياطين حانت ساعة العودة إلى الوطن من أجل تنفيذ الخطة الجهنمية التي أعدها متعهد الأزمات، التي ترتكز بالأساس على إفتعال أزمات في مختلف القطاعات وتحريك بعض وسائل الإعلام الخاصة من أجل هدف واحد هو التغيير السريع الذي سيخدم المعارضة بكل تأكيد.

لم يكن يعرف بأنه سيساهم في تحديد مصير هذه البلاد، أقدار الأمم قد ترتبط بمواقف وتحركات الرجال، الشعب منوم ومغيب ولا أمل يرجى منه، مواطنون شعارهم الإستهلاك لا يعرفون سوى الأكل والجري وراء ملذات الحياة، المؤسف أن هناك نخبة خارج مجال التغطية لا تعرف سوى المغانم والمكاسب ولا يهمها الوطن وتتشدق أحيانا بالوطنية في المنابر الرخيصة كل الأوطان في هذا الزمن تشكو من رحيل المواطنة وإستقرار الطغيان وقهر الإنسان.

- أهلا سيدي، أتشرف كثيرا بك ويسعدني أن تركب بجواري .

بالرغم من تواجده بالدرجة الأولى إلا أنه لن ينجو من هذا الرجل الفضولي.....

- مرحبا بك .. قالها بكل تردد وهذا تفاديا لمواصلة الحديث.

و لكن يبدو أن السائل الغريب مختص في إحراج الشخصيات العامة.

- هل سيشارك حزبكم في الإنتخابات القادمة سيدي ؟

وجد نفسه مضطر لإجابته حفاظا على سمعة الحزب والإجابة جاهزة ومتوفرة دوما ولن تتغير.

- إننا نراقب الوضع عن كثب وسوف نرى مدى جدية السلطات في ضمان نزاهة وحرية الإنتخابات ومن ثمة سوف نستشير قواعد الحزب وهذا من أجل الخروج بقرار مناسب يتماشى مع متطلبات المرحلة.

اقترب الرجل الفضولي أكثر من صاحبنا وخاطبه بنبرة تدل على وطنية مبالغ فيها أو دراية شاملة بالوضع العام للبلاد.

- عقدة المعارضة الدائمة سيدي هي النظر للنصف الفارغ من الكوب، وهل تتكرون الإستقرار الذي نعيشه ؟ انجازات كثيرة في الميدان على كل الأصعدة من سكنات وطرقات وبنية تحتية تتطور كل يوم، ونمو اقتصادي كبير وانخفاض في نسبة البطالة ودون الحديث على تطور في حقوق الإنسان وضمان الحريات.

لم يكن يدري أن الأقدار سوف تجعله يسافر رفقة رجل غريب .

يعتبر بمثابة الناطق الرسمي للحكومة، بدى وكأن الرجل صحفي يقدم نشرة أخبار رسمية للتلفزيون الحكومي والتي دوما عناوينها الرئيسية ترتكز على لغة الخشب والتي تؤكد بأن البلد بخير وأن كل دول العالم تحسدنا على الإستقرار والخيرات التي ننعم بها وطبعا الإصرار على أن الدولة تسعى جاهدة والعمل بدون هوادة يعني نفس الطقم القديم الذي يستلمه أي صحفي جديد يلتحق بنشرة الأخبار الرسمية.

- سيدي انتظر ردك فيما قلته، يسعدني أن اسمع رأيك حول الوضع العام في الساحة السياسية ومستقبل البلد.

فعلا لا مفر من الحديث مع الرجل وخاصة أن الرحلة لم تنتهي بعد اقترب منه أكثر محاولا أن يقرأ في عيناه سر جرأته وثقافته السياسية التي تدل على انه مشروع مناضل يمكن الإستفاذة منه

في حشد اكبر قدر من الفئات الإجتماعية التي ينطلي عليها الكلام المعسول.

- سيدي نحن نمثل المعارضة البناءة التي تهدف إلى وضع خيار ثالثا أمام الشعب، لسنا حزبا وطنيا عتيدا ولا حزبا دينيا متطرفا نسعى إلى تمثيل فئة سئمت الوعود ولغة الخشب نريد إستقطاب شرائح جديدة من المجتمع، لا يشاهدون نشرة الأخبار الرسمية مواطنون يعيشون العولمة ويعرفون كل شيء ولا يصدقون الأكاذيب.

يسعدني جدا أن تنضم إلينا وتساهم في نهضة سياسية وإجتماعية جديدة.

لم تظهر على الرجل الغريب أي علامة تدل على إنبهاره أو تأثره بما سمع، كل ما فعله إشارات مبهمة تدل أن الرسالة وصلت، عدل مقعده قليلا وإستدار من جديد إلى صاحبنا.

وماذا تعطيني كمقابل إن أصبحت من أتباعك ؟ -

- خدمة الوطن غايتنا أخي، المهم أنك تساهم معنا في هذه الوثبة التاريخية.

- أي وثبة تاريخية يا رجل، هل تظن أنك في تجمع إنتخابي أعرف جيدا كل شيء عن ألاعيب رجال السياسة، وهذا ما جعلني أكون معك صريحا، جميل أن يقفز الوطن ولكن وضعي أيضا يجب أن يتغير إلى الأفضل.

لم يكن يتصور بأنه سيتعرض إلى إبتزاز سياسي فوق السحاب وهذا الرجل الغريب يبدو مطلعا على كل خبايا وكواليس المشهد السياسي .

من حسن حظه أن المضيفة أعلنت بداية هبوط الطائرة على أرضية المطار وهذه فرصته المواتية للتخلص من هذا الاخطبوط السياسي الذي يجلس بقربه.

حين بدأت الطائرة تتدحرج، تسنى له أن يشاهد تواجد كبير للأجهزة الأمنية المشتركة على غير العادة، على طول المدرج وعبر كل محاور المطار.

ما إن توقفت الطائرة حتى فتح هاتفه النقال، أول ما وصله رسالة قصيرة من سكرتيره الخاص في الحزب .... فعلا كانت قصيرة جدا ....

- إنقلاب مفاجئ سيدي أنصحك بعدم العودة للوطن.

استدعي إلى مهام أخرى

و أخيرا وجدت نفسي في مكان مخملي جميل، وجوه مبتسمة ومنتشية طربا وسعادة، هنا يتداول كبار القوم الوضع العام للبلاد وهنا يلتقي كل المتخاصمون عبر وسائل الإعلام.

صديقي رجل الأعمال الكبير، كان بطاقة دخولي لهذا الوكر الإستثنائي فقد وعدني بمنصب هام، يجعلني بمنأى عن كل المشاكل اليومية التي يعيشها المواطن العادي.

أخبرني بأن كل من يجلس في هذا المكان سوف تتاح له الفرصة ليصبح سفيرا أو وزيرا أو تسند له مهمة في الخارج في أي هيئة دولية وهنا أيضا توزع المغانم والمكاسب ويتم تبادل الأدوار من منطقة لأخرى انه عالم عجيب ومذهل، الوجوه التي تظهر في المشهد السياسي وتحكم في الغالب تكون نتاج لهذه الكواليس التي لا يعرفها احد.

- طبعا ليس الدخول هنا فقط من يضمن المناصب بل لابد من مقابل قد يكون أموالا أو عقارات وامتيازات ... هذا ما قاله صديقي وهو يوزع الإبتسامات في كل الإتجاهات..

- لكنك تعرف بأنني لا أملك أي شيء مما ذكرته.

- إطمئن سأدفع عنك كل المستحقات، وأنت بالتأكيد سوف ترجعها لي لما تصبح في منصب مرموق في شكل مشاريع وغيرها من الصفقات الحكومية.

وفجأة دخل رجل رفقة حاشيته يبدو من خلال تهافت الجميع عليه بأنه شخصية هامة جدا ويمسك بكل الخيوط التي تحكم دواليب السلطة وبعد دقائق تسنى لنا الجلوس معه.

- سيدي هذا هو صديقي الذي أخبرتك عنه، أفنى سنوات عمره على مقاعد الدراسة لديه شهادة جامعية وشهادة الميلاد طبعا ويرغب في خدمة الوطن من خلال منصب مرموق زيادة على أنه من مدينة داخلية لا يوجد لها أي تمثيل في هرم السلطة.

تناول الرجل المهم جدا كوب عصير وإرتشفه بكل تركيز .....

- منصب مهم في هذا الظرف الصعب شبه مستحيل ولكن يمكن أن أتدبر له وظيفة سامية بإمتيازات هامة، تعرف الحكومة تم تشكيلها منذ فترة قريبة والسفراء تم اعتمادهم في الخارج والبرلمان كما تعرف لم يعد بنفس البريق السابق بل أضحى مجرد واجهة سياسية بلهاء لتصفية المعارضة.

تأملت صديقي بكل دهشة وأنا استمع إلى الناطق الرسمي للعلبة السوداء، فعلا كان الرجل يدرك ما يقوله ويعرف ما سيفعله وفيما كنت أفكر في طبيعة المنصب الموعود، نهض صديقي من مكانه واقترب أكثر من فارس أحلامي.

- وما هي المناصب المتوفرة في الوقت الحالي سيدي ؟

وقبل ان يتكلم الرجل تخيلت أن الأمر يتعلق بما يطلبه المرء حين يدخل أي مطعم حول الأطباق المتوفرة أو تلك التي يتم إعدادها خصيصا للزبون.

- لدينا القدرة على إنشاء مناصب ومهام جديدة للأحبة ولكن دوما أي مرفق جديد يكون مرتبط بفكرة جديدة، هناك مناصب هامة بعيدة عن الأضواء خاصة تلك المرتبطة بديوان ما أو هيئة حكومية ليس لها أي تعامل مع المواطنين.

فعلا وجدت نفسي مندهشا وما كنت أفكر فيه أسمعه على المباشر أي يمكن إعداد طبق خاص للزبون أو بالأحرى إحداث منصب أو هيئة حسب الطلب، على كل فرصة العمر بدأت تتحقق والرجل يبدو مصدر لكل القرارات المهمة.

تركت صديقي مع صانع المناصب حتى يتسنى لهما التفكير والتفاهم حول مستقبلي في هذا النسق الذي يحكم البلد.

كان المكان يعج بالمتسلقين والإنتهازيين، فضاء إستثنائي للعرض والطلب، سوق سياسي بإمتياز، عشنا سنوات في حلم صنعه أصحاب القرار، أعطونا حب الوطن وأخدوا الوطن، قالوا لنا أن القناعة كنز لا يفنى، تركوا لنا القناعة وأخذوا الكنز.

أمضينا سنوات عمرنا في الطرقات وعلى الأرصفة والمقاهي والمخابز والأسواق في حين كانوا يعيشون حياة أخرى بكل رفاهية وبذخ لا يعرفون عن الأوطان سوى مطاراتها وحساباتها البنكية.

موعود أنا بمنصب هام ومازلت أتحدث بإسم المواطن المغلوب على أمره، يجب أن أعيد ترتيب أوراقي، فرصة العمر تأتي مرة واحدة.

و فيما كنت أفكر في مستقبلي الرائع، اقترب مني صديقي مبتسما وملامحه تدل على أنه يحمل أنباءا سارة.

- وأخيرا سيتحقق حلمك، لقد عثرنا لك على منصب هام ومميز وهكذا سوف تصبح من رموز الطبقة المخملية التي ستحكم البلد.

- شكرا صديقي كنت على اليقين بأنك سوف تنجح في الأمر ولكن ممكن تخبرني عن طبيعة هذا المنصب.

- لا هذا الأمر ليس من اختصاصي، سوف يخبرك الزعيم الآن وهو في انتظارك.

تنقلنا بسرعة إلى الطاولة التي يجلس عليها الزعيم كما سماه صديقي الرجل المهم جدا الذي يصنع المناصب والهيئات والفرص الجميلة.

كان يجري اتصالا هاتفيا مهما فقد بدى منزعج قليلا وفي الأخير أنهى حديثه بتعليمات سريعة، ثم إلتفت نحونا مبتسما.....

- أنت محظوظ لقد عثرت لك على منصب هام، في الحقيقة هي فكرة جديدة راودتني وأنا اطل من شرفة هذا المكان الجميل

تبدو المدينة مظلمة في هذه الضاحية، غالبية مدننا تعيش الظلام وعليه قررت إنشاء هيئة جديدة وكما أخبرتك أي فكرة جديدة قد تتيح لنا إحداث مناصب ومؤسسات.

وجدت نفسي مضطرا للتدخل وبكل دهشة.....

- لكن سيدي لم أفهم شيئا، المدينة مظلمة وهل سأكون مديرا للظلام الدامس ؟

- العكس تماما صديقي، سوف نقوم بإنشاء الديوان الوطني للإنارة العمومية، وستكون المدير العام وطبعا يعتبر منصب سامي وسيتم تعيينك بمرسوم رئاسي.

مدير عام للضوء أو مدير عام لمناهضة الظلام تبدو فكرة رائعة فعلا الرجل صانع أفكار ومناصب وهيئات وهو جدير بجائزة تقديرية للإبداع وفيما كنت أتخيل مهامي المختلفة واصل الرجل كلامه المقنع والمنطقي.....

- سوف نقوم بإنشاء الديوان بمرسوم بسرعة البرق، فهناك نموذج واحد نعمل عليه دائما يتضمن مواد معروفة متداولة تتحدث عن مقر الديوان ومجلس إدارته وميزانيته.

- شكرا جزيلا على كرمك سيدي أعدك بأن اجعل هذه المدينة والمدن الأخرى تعيش الليل نهارا، سيكون شعاري عمود إنارة في كل مكان، سأهزم الظلام قريبا.

في اليوم الموالي قمت بجولة مسائية عبر كل أحياء المدينة حتى اطلع عن كثب عن واقعها ومدى نقص أعمدة الإنارة، فعلا وجدت الوضع كارثي، التغطية مرتبطة فقط بالمقرات الرسمية وبعض الأحياء الراقية، ولكن الظلام الدامس يتم توزيعه بكل عدالة على الأحياء الشعبية والضواحي المعزولة.

حين إلتقيت صديقي أخبرته عن حصيلة جولتي الميدانية وأبديت له مدى تذمري من الرداءة السائدة وان المنصب الذي وعدت به يعتبر بمثابة هدية ملغومة.

نظر لي بكل استغراب وضحك كثيرا ثم تمالك نفسه وصرخ في وجهي ...

- هل أنت مجنون أم آخر الرجال المحترمون ؟

- ... ماذا تقصد بكلامك هذا ؟ سألته بكل دهشة .

- أولا أنت ستكون مدير عام يعني أنت ستشرف على الإنارة العمومية عبر كل مدن البلاد ، وليست هذه المدينة التي أخبرتني عن واقعها ، ثانيا سيكون لك فريق عمل كبير منتشر عبر كل أنحاء البلاد وأخيرا المنصب المرموق الذي سوف تحصل عليه هو فرصة للسعادة والفرح وليس للقلق والأحزان.

- فعلا أنا أحب الفرح والسعادة ولكن يهمني أيضا إن أقوم بالمهمة المسندة لي والنجاح فيها ....أجبته بكل ثقة.

- يبدو انك ما زلت مسكون بداء المواطنة ، الحياة تسير عادية بدون وجود الهيئة التي ستنشئ من أجلك ، تذكر أن الأمر كان مجرد فكرة عابرة من طرف صانع المناصب ، وعليه لا تزعج نفسك وقريبا سيكون لك كل الصلاحيات سيادة المدير العام.

مرت أيام والخبر السعيد لم يصل بعد ، أصبحت مدمنا على متابعة كل ما يتعلق بالإنارة العمومية وأتابع بكل اهتمام مشاكل المواطنين ومعاناتهم مع إنقطاعات الكهرباء أو انعدام الإنارة في أحياءهم ، حتى أنني أصبحت أفكر في ضرورة توفير عمود إنارة لكل مواطن ، ومن حين لآخر أعيش دور المدير العام بكل ما فيه من بريق السلطة وهالة الإمتيازات والنفوذ.

كنت أشاهد صانع المناصب من حين لآخر في نشرات الأخبار الحكومية يظهر في كل مكان ، تارة يستقبل الوفود الرسمية

وأخرى يفتتح الملتقيات والمهرجانات، وأحيانا يدشن بعض المرافق والهيئات الجديدة، فعلا اكتشفت بأنه رقم لا يمكن تجاوزه في معادلة السلطة.

كنت مستلقيا في المساء كعادتي أتابع نشرات الأخبار المختلفة عبر كل القنوات الوطنية، ما أثار انتباهي الغياب التام للرجل الذي سيغير مسار حياتي للأفضل عن المشهد السياسي والحكومي.

و فجأة رن هاتفي النقال، صديقي على الخط، كنت متلهفا للخبر الذي طال إنتظاره.

- للأسف صديقي لن يتحقق حلمك الكبير.

كدت افقد توازني ولكنني تمالكت نفسي وسألته:

- ولكن ماذا حصل ؟ هل رحل الرجل عن عالمنا ؟

- أبدا لقد رحل من منصبه منذ ساعات، فقد وقع تغيير كبير في هرم السلطة وقد كان محسوب على جناح غير مرغوب فيه في ظل التوازنات الحالية، صدر بيان عاجل عن الرئاسة مفاده أنه استدعي لمهام أخرى.

أنهيت المكالمة بكل قلق وعدت إلى عوالمي الحزينة فعلا ليس لي حظ في هذا البلد، أغلقت كل أضواء المنزل وقررت أن أعيش في الظلام، من يدري قد ألتقي مستقبلا بصانع أحلام جديد يمنحني منصب مدير عام للعتمة.

نهاية ظالم

كانت ليلة باردة جدا ، الدوريات العسكرية الفرنسية مازالت تمشط الشوارع والمنازل، القصبة هذه الأيام تشهد الكثير من الأحداث .

إنها بالفعل حرب مدينة الجزائر التي إندلعت شرارتها بشدة، في حين أن الثورة تسود كل المدن والأرياف الجزائرية .

في بيت معزول بشارع ضيق، جلس الفدائي عمار ينتظر وصول رفقاءه، يرتشف كوبا من القهوة ويطالع بكل إهتمام جريدة إستعمارية مليئة بالأكاذيب، يا لها من عناوين مثيرة، الإنتصارات في الميدان وليست على صفحات الجرائد ، تحول المجاهدون الأبطال إلى فلاقة وقطاع طرق وأضحت المعارك التي يقوم بها الثوار عبر كل نواحي الوطن، أعمال شغب وحوادث معزولة .

كلما زادت أكاذيب الفرنسيين إلا وظهرت حقائق الميدان لتبين أن أيام المستعمر محدودة والإستقلال آت لمحالة ، وفجأة سمع طرق خفيف على الباب وبطريقة مميزة جدا ، فعرف بأنه عيسى رفيقه في الكفاح .....

- مرحبا عمار... هل جاء عبد القادر ؟

- لم يأت بعد ، أنت تعرف أن عبد القادر يأخذ إحتياطات كبيرة أثناء تحركاته، إنه مازال متأثر بمحاولة القبض عليه المرة السابقة. .

- سيدفع الثمن ذالك الخائن مسعود الجزار، أنتظر أمر الجبهة بفارغ الصبر لكي أقضي عليه .

- لا تشغل بالك به، سيدفع الثمن قريبا، ولكن التنفيذ أمر سري لا يعرفه أحد .

- تفضل كوب من القهوة الساخنة ..

- ربنا يكون في عون إخواننا المجاهدين في الجبال..

- الدفء الحقيقي لا يكون سوى في الجزائر المستقلة، مهما كانت الطبيعة قاسية معنا، فإن قساوة المستعمر لا توصف، قتل تشريد وتعذيب .

- الحمد لله الجبهة قامت بدورها في الخارج وكل العالم أضحى يعرف فظائع المستعمر الفرنسي .

بعد دقائق من الحديث حول ظروف عمل الجبهة في مدينة الجزائر وصل عبد القادر أخيرا، حاملا معه أوراقا كثيرة، تدل على أن الإجتماع سيكون مصيري ومهم جدا .

كان عبد القادر القائد الفعلي للمجموعة، يعرف خبايا القصبة ويدرك بأن المعركة ستكون حاسمة مع العدو، تعليمات الجبهة واضحة لابد من تكبيد العدو أكبر قدر من الخسائر، إن نقل المعركة من الجبال والأرياف إلى قلب العاصمة سيكون البرهان الساطع على نجاح الثورة .

تصفح عبد القادر أوراقه بكل إهتمام وطاف ببصره عبر أرجاء الغرفة الضيقة ثم نظر إلى رفقاءه قائلا :

- تعرفون بأن الوضعية صعبة جدا، بالأمس فقط قبضوا على فدائيين في أعالي القصبة واليوم كما تعرفون تشن الشرطة الفرنسية هجوما مكثفا من كافة المداخل لابد من ضربة سريعة وخاطفة نستعيد بها سيطرتنا على هذه القلعة .

- ربما يكون الفدائيون قد قاموا بعمليات ناجحة ولم نسمع بها بعد أضاف عيسى.

- لم تصلني أي أخبار جديدة ولكن وصلتني أوامر من الجبهة للتخلص من ضابط شرطة كبير إسمه موريالك .

- نحن جاهزون لأي عملية كما تعرف وأي قرار يأتي من القادة فحتما سيكون في مصلحة الجبهة والجزائر .. قال عمار .

- المجرم موريالك قام بقتل وتعذيب عشرات الجزائريين بمركز الشرطة ورمى بالجثث في المزابل .

- سيدفع الثمن غاليا هذا الوغد ..

- لقد قام موريالك أيضا بتعذيب الطلبة في الإضراب الأخير وأصابهم بعاهات مستديمة، يقولون إنه وحش في صورة إنسان .

- أنني أتشوق لتنفيذ حكم الجبهة فيه ...

- كما تعرفون لكل عملية خطة ويتعين أن تكون خطواتنا مدروسة و محكمة، العدو لن يرحمنا والجبهة لن تتغاضى عن أخطاءنا ... أضاف عبد القادر .

- تفضل أيها القائد نحن في الإستماع لمعرفة تفاصيل هذه الخطة التي ستكون ناجحة بإذن الله .. أردف عيسى .

- لقد قمت بمراقبة الضابط موريالك منذ أيام وعرفت كل برنامجه اليومي، تأتيه دورية كل صباح تأخذه إلى مقر الشرطة تتكون في الغالب من ثلاثة رجال شرطة بما فيهم السائق، يبقى في مكتبه إلى المساء حيث ينتقل من جديد إلى مسكنه وفي الطريق يقتني أحيانا بعد الحاجيات من متجر كبير وغالبا ما يدردش قليلا مع صاحب المحل ثم يواصل مشواره بحماية رجاله .

- يمكننا أن نضع له كمينا في طريقه أو نهجم عليه أثناء خروجه من المنزل في الصباح . قال عيسى .

- نسيت أن أخبركم بأن هناك حراسة دائمة على مسكنه، حيث يتناوب على هذه المهمة شرطيان. أضاف عبد القادر

- لابد من دراسة كل الإحتمالات الممكنة ولابد من توفير كل ضمانات النجاح، الأمر يتعلق بمكانة الجبهة في نفوس كل الجزائريين تأكدوا بأن أي عملية ناجحة ستكون بمثابة خطوة صحيحة نحو تلاحم المناضلين وترسيخ الإستقلال كهدف منشود .

تم إستعراض كل الخيارات الممكنة والنتائج المتوقعة، ومن الواضح أن الضابط الفرنسي يحظى بحماية دائمة، لابد من إيجاد الثغرات المناسبة عبر كل الأمكنة التي يتواجد بها من أجل ضمان نجاح العملية.

و فجأة تدخل عيسى بكل نرفزة وعصبية .

- ضيعنا الوقت الكثير في مناقشة أمر هذا المجرم، المهم أن يموت كما أرادت الجبهة، نحن فداء هذا الوطن ولا يهمنا رد فعل رجال الشرطة المرافقين له، نموت ويحي الوطن ..

- حافظ على هدوءك يا أخي، أنا لا أشك في وطنيتك ولكن كما تعرف فإن خروجنا سالمين من هذه العملية سيجعلنا نقوم بعمليات أخرى ونواصل الجهاد من أجل الوطن حتى نيل الإستقلال .. أجاب عبد القادر .

- كلامك صحيح، نحن مستعدين أن نموت من أجل الوطن ولكن إن إستطعنا أن نبقى أحياء سنقدم خدمات أخرى جليلة لبلادنا ... أضاف عمار ..

- يمكننا أن ننفذ هجومنا عليه ساعة خروجه من بيته في الصباح الباكر، ستكون يقظة رجال الشرطة أقل، أو نباغته في السيارة أثناء عودته أو ذهابه لمركز الشرطة، واحد منا يتكفل بتغطية الإنسحاب والهجوم وإثنان يطلقان النار على الضابط ومرافقيه .. ليست لدينا بدائل أخرى .

ما إن أكمل عبد القادر تدخله حتى ساد الغرفة سكون تام لم تقطعه سوى النوافذ التي تعبث بها الرياح، لقد قامت المجموعة

بعدة عمليات ناجحة ولكن علمتهم التجربة أن يأخذوا إحتياطاتهم عند التخطيط لأهداف جديدة .

المستعمر لديه إمكانيات كبيرة وجواسيس في كل مكان، الإرادة والتضحية والكثير من اليقظة وحسن التدبير من أجل تحقيق النتائج المطلوبة، رقعة المواجهات توسعت عبر كل أنحاء الوطن وجبهة التحرير لديها شبكة معلومات فعالة وعليه فإن نوعية ودقة العمليات يجعلان العدو يفقد توازنه وعندما يصل إلى هذه المرحلة تكون الجبهة قد كسبت أوراقا جديدة .

- لدي فكرة أخرى قد تقلب كل الموازين، سنقضي على الضابط موريـاك في مكتبه بمركز الشرطة ... ما رأيكم ؟ سأل عبد القادر.

- يا لها من فكرة غريبة، الأمر ينطوي على كثير من الخطر ونسبة النجاح ضئيلة فمركز الشرطة كما تعرف به عشرات بل مئات من رجال الشرطة الذين يعج بهم المكان، البطولة شيء رائع ولكن المغامرة الغير محسوبة قد تضرنا، محاولة من هذا النوع قد تكون فاشلة... قال عيسى ...

- ولكن هل لديك خطة واضحة قابلة للتنفيذ ؟ سأل عمار .

سكت عبد القادر، في ظل هذا النقاش الساخن يتعين عليه أن يقوم بتجميع أفكاره الآن، إن قتل الضابط المجرم في مكتبه سيكون ضربة قاسية إن نجحت العملية، ولكن كيف سيتم الدخول إلى مركز الشرطة؟ هذا هو السؤال الصعب الذي يتعين الإجابة عليه، وفيما كان يفكر في الأمر ويتأمل رفاقه، سطعت بذهنه فكرة ستقلب كل الموازين ... إرتشف ما تبقى من كوب القهوة وقال بكل ثقة :

- سيقوم أحدنا بتنفيذ حكم الجبهة على المجرم في مكتبه، عيسى أنت لست محل بحث من طرف الشرطة الإستعمارية، يمكنك أن تقوم بهذه المهمة .

كان عبد القادر يملك إجابات لكل الأسئلة المحتملة، إستمرت الجلسة عدة ساعات وعند قرب حلول الفجر، تم الإتفاق على موعد التنفيذ والخطة التي سيتم إتباعها .

جاءت ساعة الحسم، في هذا اليوم سوف يتحدد مصير موريالك ..

هذا الأخير خرج من بيته كعادته مرفقا بحمايته المعهودة إلى مركز الشرطة، سيجد حتما في إنتظاره وجبة بشرية جديدة، إنه مصاص دماء، لا يمل، التعذيب أضحى هوايته المفضلة، لقد أبدع في تقنيات الإستنطاق فهو يحظى بدعم مباشر من قادته وخاصة وأن الغطاء السياسي قد توفر لممارسة التعذيب في الجزائر، فقد تم إعتبار ما تقوم به السلطات الإستعمارية بمثابة رد فعل على التفجيرات التي تقوم بها الجبهة في الأماكن التي يرتادها المعمرون، القبض على حاملي المتفجرات أضحى حق شرعي .

في هذه الأثناء كان الفدائيون الثلاث يقتربون من المنطقة، فقد حاولوا قدر الإمكان تفادي الشوارع التي توجد بها حواجز شرطة أو عسكر ستكون ناجحة، الله معنا والشيطان معهم، هكذا حدث عبد القادر نفسه لقد نفذت المجموعة عدة عمليات في نواحي مدينة الجزائر ولكن اليوم سيكون الأمر إستثنائي نظرا لحساسية الهدف ونتائجه فالتخلص من موريالك سيكون ضربة تقضي كل طموحات رجالات فرنسا.

الجهات العسكرية التي تشرف على قمع الفدائيين ستصاب بزلزال عنيف، والأمر كذالك سيفضح بكل تأكيد أكاذيبهم عبر الصحف الإستعمارية، فقد تحدثوا كثيرا عن تفكيك الشبكة التي تقوم بالتفجيرات، ولكن اليوم سيتم قلب كل الموازين ..

عيسى كان متنكر بزي فلاح قروي يحمل قفة من التفاح الأحمر اللذيذ أصبح الآن يمشي وحيدا، في حين تموقع عبد القادر وعمار على جانبي المركز في إنتظار إشارة الهجوم .

واصل عيسى سيره حتى أصبح على بعد أمتار من المركز ولكن صراخ شديد أوقفه في مكانه .

- قف أيها العربي الوسخ، ما الذي أتى بك إلى هنا ؟ سأله الشرطي الذي أشهر سلاحه .

- إنني لا أحمل شيئا خطيرا ، أنظر القفة كلها تفاح لذيذ ، هل تريد واحدة ؟

- لا أريد أيها الغبي، هيا غادر المكان حالا وإلا سأطلق عليك النار في الحال .... أضاف الشرطي .

تدخل شرطي آخر من بعيد ، كان يراقب ما يحدث.....

- لا تخشى شيئا ، إنه فلاح مسكين يريد أن يهدينا الكثير من التفاح ليس كل الجزائريين أشرار ، الكثير منهم يحبوننا ، أظنك تعرف ذالك ..

- أنها تفاحات لذيذة ، لقد قطفتها هذا الصباح من بستان السيد جورج أكيد أنكم تعرفونه ..

- قل أنك سرقتها أيها العربي المقرف .... أضاف الشرطي الأول.

- أبدا ، أنها جزء من أجرتي لديه وكل ما أقوم به بعلمه .

- ولكن هل إحضار هذه القفة ، هو السبب الوحيد لمجيئك ؟ سأل الشرطي الثاني ..

- لقد جئت من أجل أمر خطير يا سيدي ....

- هيا أسرع أخبرنا قبل فوات الأوان .... إقترب .

فتح الشرطي القفة وتأكد من محتوياتها وظهرت على محياه إبتسامة وإستدار إلى صاحبه مشيرا إلى الفلاح المزيف ...

- إنه بالفعل صادق، يريد أن يهدينا تفاح لذيذ ، نبدأ بها هذا اليوم الجديد ..

- ولكن هات ما عندك ؟

- لدي معلومات خطيرة قد تفيدكم في القضاء على مجرمي جبهة التحرير ..

- تكلم لا تخف، ستكون لك جائزة إن صدقت معلوماتك .

- لن أتكلم إلا مع رئيس المركز .... قال عيسى

- ولكن نحن سنخبره بكل ما ستقوله لنا إطمئن من هذا الجانب... قال الشرطي الأول .

- الضابط موريك لا يستقبل الحشرات أمثالك، إنه لا يهتم سوى بالقضايا الكبيرة ... قال الشرطي الثاني .

- يا سيدي أنا أيضا جئته من أجل أمر هام جدا، هل القبض على زعيم مدبري تفجيرات الجزائر، ليس قضية كبيرة ؟ قال عيسى.

إقترب الشرطي من زميله وهمس في أذنه :

- يبدو أن الأمر يستدعي الأهمية، سأذهب حالا وأخبر موريك بالأمر، لا تتركه يفلت منك، إنه فرصتنا للحصول على إجازة إلى فرنسا إن صدقت معلوماته .

أسرع الشرطي بالدخول إلى المركز لإخبار الضابط موريك بالزائر الغريب، في حين أخد عيسى يوزع التفاح على كل شرطي يمر بقربه محاولا أن يستميل كل الوجوه في إنتظار الفرصة المواتية لتنفيذ مهمته كان الشرطي الذي بقربه يلتهم تفاحة كبيرة بكل شراهة، تأمله عيسى بكل إهتمام محدثا نفسه، تقتلون العباد وتأكلون الخيرات وسفنكم تنقل كل المحاصيل إلى فرنسا لابد من تحرير البلاد سيأتي يومكم أيها الأوغاد.

لاحظ الشرطي نظرات عيسى الغريبة نحوه فحاول إستدراك الموقف :

- في الحقيقة لا يسمح لنا بقبول الأكل من الغرباء، فقد يكون مسموما أنت تعرف الوضع خطير جدا هذه الأيام، ولكن يبدو أنك فلاح طيب وهذا التفاح جاء مباشرة من الأشجار ولا أظن أن البساتين تكره الفرنسيين .

- بالهناء والشفاء أيها الشرطي الرائع، السم لا يوضع سوى في القهوة أو الشاي ... أضاف عيسى .

كان عبد القادر وعمار يراقبان عن بعد ما يحدث، كل المؤشرات الأولية تدل على أن الأمور تسير على ما يرام، إذا وفق عيسى في مقابلة الضابط موريك سيقضي عليه بدون شك، فقد زوده عبد القادر بمسدس صغير وفعال وخبأه بإحكام داخل لباسه، القفة أسالت لعاب رجال الشرطة ولم يقوموا بتفتيشه بدقة وتم الإتفاق على أن يتم الهجوم بالرصاص والقنابل بمجرد سماع الطلقات الأولى من مسدس عيسى .

وفجأة حضر موريك شخصيا إلى مدخل المركز، وعليه علامات النرفزة والغضب .

- كل معتوه يأتي إلى هنا، تصدقونه، اللعنة عليكم أيها الأوغاد قلت لكم ألف مرة لا مجال للثقة في الجزائريين كلهم أعداءنا بدون إستثناء، أين هو هذا العربي الوغد ؟

- إنه هنا تحت حراستي سيدي ... قال الشرطي الذي إنتهى منذ لحظات من أكل التفاحة الشهية .

- هل تم تفتيشه جيدا ؟

- نعم يا سيدي، لا يحمل معه سوى قفة بها تفاحات لذيذة ... أضاف الشرطي.

إقترب موريك من عيسى وأمسكه من رقبته بشدة صارخا :

- أي معلومات لديك، هيا إسرع ليس لدي وقت .. سأل موريك.

- لقد رأيت بالأمس آثار أقدام غريبة في مزرعة السيد جورج يبدو أن المجرمين يختبئون هناك .... أجاب عيسى

- يا له من خبر رائع، وهل هذا الأمر خطير، لتأتي هنا وتضيع وقتي أيها النذل ...

قام موريـاك برمـي عيسـى علـى الحـائط بشـدة، فسـقط أرضـا وأمسـك بطنـه متظـاهرا بـالألم، يبـدو أن موريـاك جـاء إلى حتفـه برجليه، لن يضيع عيسى هذه الفرصة وفي هـذه الأثنـاء كـان عمـار وعبد القادر في كامل الإستعداد لبداية المعركة .

- هيـا إبعـدوا عـني هـذا الكلـب لـو لم تكـن قاعـة التعـذيب محجـوزة اليـوم لأدخلـت هـذا اللعـين وطبقـت عليـه كـل أسـاليب التعذيب القديمة والجديدة .

وحـين أراد الشـرطيان الإقـتراب مـن عيسـى، أوقفهمـا موريـاك بكل حدة .

- لحظة، هذا الفلاح الحقير أزعجني اليوم، دعوني أتفحص القفة قد أجد فيها ما ينسيني غضبي، قد تكون التفاحات أنظف من حاملها ..

إقترب موريـاك كـثيرا مـن عيسـى، محـاولا أخـذ القفـة مـن يـده اليسرى، و لكن ما إن لامسها حتى وجد اليد اليمنى تطلق عليها ثلاث رصاصات في القلب فهوى على الأرض صريعا وفي نفس الوقت أمطر عبد القادر وعمار مدخل المركز بالرصاص والقنابل وسقط الشرطيان بدون حراك .

و إستطاع عيسى أن ينسحب سريعا إلى شارع جانبي وكل رجال الشرطة الذين حاولوا اللحاق به وجدوا أنفسهم تحت مرمى النار .

موريـاك يسـبح في بركـة دمـاء، وأخـيرا وصـل المجـرم إلى نهايتـه المحتومـة، لقـد تمتـع بتعـذيب الجزائـريين ولم يكـن يـدري بأنـه سيكون ضحية قفة تفاح .

يبدو أن الجبناء كثيرون داخل مركز الشرطة ولم يتمكن أي واحد منهم من تجاوز مدخل المركز وفجأة تعالى الصرخات من داخله.

- اللّه أكبر ... اللّه أكبر ... تحيا الجزائر ... تحيا الجزائر .

إنها أصوات المعتقلين داخل المركز، معاناة التعذيب لم تمنعهم من التعبير عن فرحتهم بنهاية المجرم موريـاك، وتعالت فيما بعد زغاريد النسوة من العمارات المجاورة، إنه يوم أسود للمستعمرين.

و في لمح البصر إستطاع عمار وعبد القادر أن ينسحبا كل على حدى، يبدو أن خروج موريـاك من مكتبه ساهم في سرعة تنفيذ العملية، وصلت التعزيزات الأمنية متأخرة، وإجتمع عشرات من رجال الشرطة حول الضابط موريـاك، الذي شاءت الأقدار أن لا يكمل برنامجه التعذيبي هذا اليوم .

بعد ساعة إلتقى الفدائيون الثلاث في القصبة، الغرفة الضيقة والنافذة التي تتلاعب بها الرياح، لم يتغير شيئا في المكان، ماعدا نشوة النصر التي بدت على الجميع .

- الحمد للّه لقد نجحنا وقضينا على المجرم موريـاك وخرجنا بدون خسائر .... قال عبد القادر .

- كنت أفكر في كيفية قتله في مكتبه ولكنه خرج إلى أجله.

إنها نهاية كل طاغية ... أضاف عيسى .

- يا إخوتي إنني أحس اليوم أن الإستقلال أضحى قريبا جدا أحلم باليوم الذي نعيش فيه بسلام ونتمتع بخيرات بلادنا ... قال عمار.

- على ذكر الخيرات .. هل بقيت تفاحات في القفة يا عيسى ؟ سأل عبد القادر..

- تصوروا بالرغم من كل التفاح الذي وزعته بقي معي أربع تفاحات تفضلا، إنها بالفعل لذيذة، يبدو أن نوعيتها المميزة ساهمت في نجاح عملية اليوم .... قال عيسى .

- سبحان الله حتى التفاح يقاتل معنا المستعمر، إنها بالفعل أرض الثوار ... قال عمار متعجبا ...

- لدي مفاجأة أخرى لكم .... قال عيسى.

- لقد توالت الأفراح هات ما عندك يا بطل ...

أدخل عيسى يده تحت لباسه وأخرج مسدس جديد ...

- لقد أخذت مسدس موريال قبل إنسحابي ...

- رائع أنها غنيمة رائعة، سوف تسر القيادة كثيرا بهذه الأنباء سلاح إضافي معناه عمليات أخرى تسند لفدائيين آخرين ... قال عبد القادر .

رائحة التفاح تملأ المكان وأخذ الفدائيون يستعيدون الأحداث ويحاولون تذكر كل التفاصيل، الإنتصارات لا تهرب من الذاكرة وتبقى دوما في الأذهان، تفاحة واحدة بقت فوق الطاولة ربما هي الأخرى تستعيد أمجادها وتفكر في مهمات جديدة أو أفواه جديدة .

- أنتظر بفارغ الصبر جرائد الغد لمعرفة رد فعل السلطات الإستعمارية ...

- لا تشغل بالك يا عمار، لن يعترفوا بشيء، أنت تعرف بأن الصحافة الإستعمارية تمارس الكذب الفاضح .... قال عيسى .

و فجأة سمعت دقات سريعة على الباب، فتسمر الجميع في أماكنهم بإستثناء عمار ..

- إنه إسماعيل، أعرف جيدا دقاته ...

إستعد عبد القادر وعيسى لمواجهة أي طارئ وتوجه عمار إلى الباب بكل حذر وبعد ثواني عاد رفقة الفدائي إسماعيل .

تبادل السلام مع الجميع وجلس معهم وبدى واضحا أنه يحمل أنباءا أو تعليمات جديدة .

- يا إخوتي قيادة الجبهة تبلغكم سلامها وتهنئكم على نصر اليوم وإن شاء الله تعود علينا هذا الإنتصارات بالهدف المنشود ، الذي لن يكون سوى الإستقلال .

- نحن في خدمة الجبهة والجزائر ، موريـاك دفع ثمن جرائمه وكل المستعمرين أمثاله سوف يدفعون الثمن ... أضاف عبد القادر .

- لقد أتيت أيضا لأطلعكم على العملية الجديدة التي ستنفذونها بالجزائر والتي ستزيد من هزائم المستعمر .... قال إسماعيل .

- نحن مستعدين يا أخي ولكن قبل الدخول في التفاصيل

تفضل هذه التفاحة التي بقيت من عملية اليوم، أظنها تريد أن تبقى لتشارك معنا في العملية القادمة ... قال عيسى.

ضحك الجميع كثيرا لكلام عيسى الغير متوقع، كانت الثورة تسري بين البشر والحجر والشجر، من أجل هدف واحد طرد المستعمر وإستقلال البلاد .